التفكير المزدوج ودوره في تعزيز روح التسامح لدى طلبة الجامعة

أ.م.د. وجدان جعفر جواد عبد المهدي الحكاك / مركز البحوث التربوية والنفسية

ملخص البحث

سعى البحث الحالي الى معرفة مفهومين حديثين في الأدب النظري التربوي والنفسي والاجتماعي هما التفكير المزدوج والتسامح والتعريف بهما في أطر نظرية دينية واجتماعية ونفسية لتوضيح دورهما في الحياة عامة وفي الحياة الجامعية خاصة وفهم دور كل منهما في تعزيز الآخر، وتضمن البحث فصلا أولا لتحديد أهمية وأهداف ومصطلحات البحث بشكل تفصيلي، وفصلا ثان للأطر والأدب النظري للمفهومين بدءا من التراث الديني في الاسلام والأديان الاخرى لاسيما مفهوم التسامح، ثم نظرة اجتماعية ونفسية وثقافية للمفهومين بعمق نظري، وفصلا أخيرا للاستنتاج عن المشتركات بين المفهومين سلبا وايجابا، وكيف يمكن ان يعزز أحدهما دور الآخر لدى عامة الناس ثم طلبة الجامعة، اذ أن قاعدة مفهوم التسامح طغت بشكل كبير على تحقيق هذا الدور في التعزيز لعمق المفهوم دينيا واجتماعيا وأصبح من تسلح بالتسامح كسمة وقيمة انسانية عظيمة عليا سامية هو من يمتلك مفاتيح التفكير المزدوج بايجابه وسلبه وقدرة عالية على التعامل والتفاوض والتسلح مع الظروف الصعبة كلها، وعليه تم ايضاح دور المؤسسة الجامعية بمرافقها جميعا في تربية وتعليم وزرع ثقافة التسامح لدى طلبتها واسهامها العميق في طبيعة التفكير السوي الحر الايجابي المبدع كتفكير مزدوج يخدم المجتمع في ظروفه التي يعيشها اليوم، وانتهت الباحثة بتوصيات ومقترحات عدة تخدم المجال بشكل واضح وكبير.

الفصل الأول

أهمية البحث ومشكلته

تعيش البشرية اليوم مأزقا حضاريا خطيرا في ظل عولمة تسلطية طغت فيها المادة على الروح وانحسرت معها القيم الانسانية والأخلاقية حتى أستهين بحياة الانسان وكرامته، فكل شيء أصبح في غير شكله وفي غير محله، فالخصم رغم جوره تجده قاضيا، والمجرم تراه آمنا، والصالح شقيا وبات المنكر معروفا والمعروف منكرا، وانحطت القيم الرفيعة والنبيلة، وعمت معايير المصالح وسادت العادات الفاسدة، وكأن ركب الانسانية يسير الى هوّة الفناء والهلاك، بعد أن أصبح كل داء في المجتمع الانساني، وكل عيب من عيوب الجيل الحاضر يتطلب اصلاح حياة كاملة، ولا يمكن أن تقوم لطائفة أو أمة أو مجتمع قائمة دون خلق المباديء والمثل العليا كأسس وجودية يستند اليها المجتمع في تحقيق وجوده وتطوره، وعلى الرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي لحضارة القرن (٢٠&٢١) لكنها حملت مذاهب فكرية تناولت مختلف الحياة الانسانية متضمنة تناقضات وخلافات وصراعات خلقت شك ويأس وفوضى أدخلتنا في متاهات عبثا الخروج منها وتلمس طرق النجاة والبحث عن أيّة قوة تجلب لنا الأمن والطمأنينة (رضوان، ١٩٩٧: ص١١٧).

فتداخل الثقافات والمصالح الفئوية الضيقة، وتبعات السياسات المحلية والاقليمية والدولية من جانب، وتراجع منظومة القيم الانسانية والدينية والاخلاقية والوطنية النبيلة من جانب آخر، فانخراط المشهد العربي في المشهد الاقليمي والدولي أعطى صورة كلية مفزعة للعالم الغارق في الحروب والعنف والتطرف والارهاب، مايشكل خطرا حقيقيا على القضايا الوطنية للشعوب العربية ويهدد وحدتها ويدمر نسيجها الاجتماعي، فلابد من دور مهم للتربية والتعليم ومؤسساتها المختلفة ووسائل الاعلام ومنظمات المجتمع المدني، وأهل الفكر والعلم ورجال الثقافة والنخب السياسية في اعادة الاعتبار للمباديء والانسانية والاخلاقية التي عاش عليها المجتمع العربي طوال المراحل السابقة من تاريخه، لا سيما نشر ثقافة التسامح والحوار السلمي الهاديء واحترام الآخر، وتقبل وتقدير الاختلاف كسنة كونية ايجابية، وتعميم ثقافة اللاعنف، ونبذ التعصب والتطرف والعلو، وبث روح الموضوعية والوسطية، والشراكة والاعتدال والعمل على تحقيق الوئام في سياق الاختلاف، وكل ما من شأنه تعميم السلم الأهلي والأمن المجتمعي ووحدة المجتمع من أجل النهوض لاسترجاع أبسط حقوق وآمال الشعوب العربية المظلومة (المزين، ٢٠٠٩: ص٤).

هذا فضلا عن أن الكشف عن مفاهيم نفسية وسلوكية جديدة من قبل المختصين في العلوم السلوكية والانسانية، لاسيما المفاهيم المؤثرة في الوعي والادراك الشعوري من فكر وانفعال وسمات وسلوكيات، يعد من الحاجات الماسة بدل التكرار العقيم للمفاهيم المتداولة بطريقة أو بأخرى والتي لاتجدي أي نفع في تكرار النتائج وما تحتاجه من حلول ومقترحات الأمر الذي سوف لن يغني الأدب النظري أو يضيف أيّة اضافة جديدة فاعلة له، فلا بد من دراسات تنبع من صميم الواقع البيئي والاجتماعي والسياسي بدل المفاهيم عبر الحضارية المختلفة بالحضارة والبيئة والظروف الراهنة

وافرازاتها، والحاجة ماسة للعراقيين والشباب وطلبة الجامعة لمفهومي البحث الحديثين لاسيما في تفعيلهما لخدمة الظروف الراهنة، فجميعنا بحاجة الى فهم وادراك الوعي الشعوري لذواتنا في ظل الظروف المفجعة التي نتعرض لها باستمرار من جراء الحروب المتتالية والاحتلال ومظاهر العنف والارهاب وفقدان الأمن وافتعال وتأجيج التطاحن العرقي والديني والطائفي والسياسي والتحزبي المختلف الذي غالبا ما يبعد التفكير بذواتنا نتيجة الانشغال الدائم بهذه المظاهر ومحاولة تأمين أبسط الحاجات اليومية بعيدا عنها، وهذه أنسب الظروف لنكشف ونوضح ونؤطر هذين المفهومين فيستدل عليها الأفراد وطلبة الجامعة وتوظف لخدمتهم وتحقيق أهدافهم والتخفيف من وطأة كواهلهم قبل أن يقعوا في شرك المحاورات والمناكفات والجدال العقيم والمحاصصة الطائفية والعنف المعنوي الذي قد تجره عليهم الظروف الاجتماعية والسياسية من قساوة وشدة فيتحول الى عنف مادي يفقدوا به صفات الروح الانسانية التي تحمل أسمى مبادىء الاسلام والسلام من تسامح وصفح ومحبة، فلا يحققوا أي شيء ممكن أن يصب في المصلحة الخاصة والعامة، في الوقت الذي يمكنهم أن يحققوا حتى ذواتهم مع مثل هكذا ظروف مجحفة اذا استطاعوا الافادة من المفاهيم هذه وتوظيفها لخدمتهم (الحكاك، ٢٠٠٦: ص٣٥٥-٣٥٦).

وبما أن للتربية والتعليم دور كبير في تخفيف الصراع المحتدم في المجتمعات المتنوعة قوميا ودينيا وعرقيا، سواءا باضعاف مسبباته أو بازالتها بواسطة تدعيم وترسيخ التسامح الذي يساعد الناس على التعايش كفضائل عظمى تحتل مكانة عالية ولا غنى عنه للعلاقات السلمية في أي مجتمع، لانه مفهوم يتمحور حول التنظيم الاجتماعي والسياسي الحديث، وهو المخرج من جميع الصراعات والأزمات التي تكابدها المجتمعات البشرية اليوم، وأن المرحلة الجامعية متميزة في حياة الشباب ففيها تتبلور القيم وتترسخ، وتنضج الأفكار وتتفتح الذهنية للمستقبل لأن بيدها أدوات التطور والتقدم والتغيير لذا فالاهتمام بمشكلات الشباب يعد من الضرورات لازالة معوقات التنمية والتقدم الحضاري، ولا يتحقق هذا دون تعرف مايقوم به هؤلاء الطلبة من سلوكيات توفر لهم الاطمئنان والأمان وتبعد عنهم القلق والخوف والضياع، فالشباب الجامعي جزءا من أفراد المجتمع يتأثرون بكل التغييرات الثقافية والاجتماعية بما يوجه سلوكهم في اتجاهات معينة وأن الجامعة لم تعد مجرد وسيلة اعداد للحياة نفسها وعالمها جديد يختلف نمط الحياة فيه عن أي نمط سابق لحياة الطلبة لذلك ازداد الاهتمام بمشكلات الشباب، كضرورات لازمة لتقدم الأمم والمجتمعات لأنها أكثر المراحل تعرضا للضغوط النفسية التي تصل أحيانا الى أزمات حادة تؤدي الى اضطرابات سلوكية تأخذ صورا متعددة من بينها التمرد على الحياة في المجتمع بشكل عام (العظماوي، ١٩٨٨: ص٤٣٣)، وادراكا لأهمية دور الجامعات في المرحلة العمرية هذه لفئة الشباب الجامعي، كمرحلة نضج وتولد الاتجاهات والميول والانتماءات الفكرية، فهم يمثلون أهم القطاعات البشرية كسواعد للبناء وقادة للمستقبل، وهم الفئة التي ترتبط بهم المشكلة ببواعثها ومحركاتها وأفعالها وردود أفعالها لاسيما المتعلمين منهم، الأمر الذي يكون له بالغ الأثر على مسيرة المجتمع ككل وعلى ايقاع الحياة فيه ومنظومة قيم وسلوك

افراده، والجامعة تشكل ميدانا فسيحا لنشأة الأطر الطلابية وممارسة أنشطة وفعاليات واستقطابات، تعكس وتترجم أفكار واتجاهات وقيم الطلبة (المزين، ٢٠٠٩: ص٤-٥)، ونظرا لسعة أدوار المؤسسات التربوية والتعليمية ووسائل الاعلام وهيئات المجتمع المختلفة، ولصعوبة دراسة هذه الادوار مجتمعة مع التأكيد على ضرورة ووجوب تكاملها، أملا في الوصول الى اجابات علمية وموضوعية في دراسة ومعالجة الموضوع هذا، سوف يتم التركيز على دور مفهوم التفكير المزدوج ومفهوم التسامح عن طريق الجامعات كأهم المؤسسات التربوية والتعليمية، لذلك كله سعت الباحثة الى محاولة الكشف عنهما كمفاهيم نفسية وتربوية واجتماعية وسلوكية جديدة ومحاولة توضيح دورهما في تعزيز دور الآخر لدى طلبة الجامعة، لاجل معالجة الكثير من المشاكل الفكرية التي يفرزها المجتمع العراقي في الوقت الراهن من التعصب الفكري والحزبي والطائفي والذي بدوره يؤثر على فكر الشباب وطلبة الجامعة تحديدا الذين يجب أن يعدهم المجتمع قادته ونبض ديمومته وتنميته وبناته.

أهداف البحث : سعى البحث الحالي الى :

١. تعرف مفهومي التفكير المزدوج والتسامح بحسب الأدبيات المتوافرة عنهما.
٢. تعرف مزايا العلاقة بين المفهومين وكيف يمكن أن يسهم أحدهما في تعزيز دور المفهوم الآخر لافادة طلبة الجامعة عن طريق أدوار الجامعة كافة.

حدود البحث : يتحدد البحث الحالي بـ :

١. الجانب النظري الخاص بالأدبيات النظرية حول مفهومي التفكير المزدوج، والتسامح.
٢. الجانب الأستنتاجي الخاص بالكشف عن العلاقة بين المفهومين وكيف يمكن أن يسهم أحدهما في تعزيز دور المفهوم الآخر لافادة طلبة الجامعة.

مصطلحات البحث :

أولا: التفكير المزدوج (Double Thinking) :

١. تعريفات جورج اورويل (George Orwell, 1984-2012) : بأنه أحد الإصطلاحات التي أتى بها الأديب البريطاني جورج أورويل في رواياته، وأصبح يستخدم في علم النفس ويعني :

أ- أن يحمل الفرد الفكرة ونقيضها في الوقت نفسه.

ب- نوع من التفكير يعطي الشخص رؤية أكبر ومعاني أوضح واحتمالات أكثر عن أي شيء سواء سلبيا أو ايجابيا لاستيضاح الصواب أين يكون في النهاية.

ت- طريقة جيدة لاكتشاف الأمور من حولنا انه ببساطة رؤية شاملة للامور يجب استغلالها وتنمية مهاراتها، من امكانية الفرد على حمل الفكرة ونقيضها واعتبارهما صحيحتين في الوقت نفسه (p.80 : George Orwell, 1984-2012).

ث- قوة الإقتناع بإثنين من المعتقدات المتناقضة في وقت وعقل واحد وقبول كل منهما (NET,34).

٢. ان قاعدة التفكير المزدوج تتيح للفرد الهروب من تفكيره وتنقذه من ضغط الإكراه والخوف من الحرية

عندما يتبنى وجهتي نظر متباينتين ويؤمن فيهما كلتيهما فينقدك جورج اورويل من منطقك بمنطقك ومن ذاكرتك بذاكرتك ومن نفسك بنفسك فيكون هروب العقل من العجز واللاجدوى بل الهروب من وحشة هذا العالم الى الحرية (NET,40).

٣. تعريف مغربل(٢٠١٠) : انه سمة العباقرة والمفكرين والطريقة المثلى لاكتشاف الأمور والأشياء من حولنا، هو ببساطة الرؤية الشاملة للأمر الذي بين يديك ولكن لابد أن تعلم أولاً كيف تفكر كالعباقرة هم يفكرون بطريقة مختلفة قليلاً عن الآخرين قد يسعفني التعبير اذا قلت بأنهم يفكرون خارج الصندوق الذي هو مجازاً الموضوع المراد تناوله ولكن لا يعني ذلك بأنهم يرون مالا نراه بل هم يرون كل مانراه بطريقة مترابطة ومنتظمة وعلمية (مغربل، ٢٠١٠: ص١).

٤. ويقصد به أن نفكر بالعكس أو بالمقلوب, وبمعنى آخر إذا كانت لديك فكرة إبداعية فلكي تولد فكرة إبداعية أخرى فما عليك إلا أن تفكر عكس الفكرة أو الرأي أو البديل المطروح : ومن أمثله ذلك ما يلي (إذا كانت عقارب الساعة تتحرك من اليسار إلى اليمين فلماذا لايتمّ التفكير بساعة إبداعية تتحرك عقاربها من اليمين إلى اليسار، وقد حدث ذلك) (NET,37).

٥. انه اعتماد المعرفة والحدس وهما العاملان اللذان يؤثران في مرحلة الحكم على فكرة معينة بكونها صحيحة أو خاطئة وان معرفة هذه العوامل وكيفية التفكير المزدوج هو أمر مهم اذا ما أردنا الوصول الى تقييم صحيح للأفكار التي تثير جدلا عند الأفراد ان معرفة هذا الأمر سيجعلنا نتجنب اتخاذ آراء وقرارات خاطئة تجاه أفكار ونظريات متعددة بسبب تفكيرنا المزدوج الذي يمزج بين الحدس والمعرفة وسنتمكن من أن نعرف كيف يمكن أن نتصرف ازاء أنفسنا كيف يتصرف الدماغ وماهية آلية التفكير المزدوج الذي يقوم بها الدماغ (NET, 38 & 39).

وعليه فتعريفات التفكير المزدوج جميعها تعني الحرية المطلقة في التفكير والتي قد تصل الى عكس الفكرة تماما لسعة المساحة في حرية التفكير.

ثانيا : التسامح (Tolerance):

١. التسامح لغة: أن أصل كلمة التسامح في اللغة العربية يعود الى جذر أو مادة "سمح" بمعنى اللين والسهولة ويأتي في اللغة مرادف للتساهل (مجمع اللغة العربية، ١٩٦٥: ص٤٤٧).

٢. وجاء في لسان العرب: أن التسامح والتساهل مترادفين، فسمح، السماح، السماحة، المسامحة، والتسميح، وتعني لغة الجود، وأسمح اذ جاد وأعطى بكرم وسخاء، وأسمح وتسامح وافقني على المطلوب، والمسامحة هي المساهلة (ابن منظور، ١٩٥٦: ص٤٩٥).

٣. وجاء في مختار الصحاح: سمح، السماح، والسماحة الجود (سمح) به يسمح بالفتح فيهما سماحا سماحة أي جاد (الرازي، ٢٠٠٠: ص٣١٢).

٤. وجاء في المنجد: سمح، سماحا، وسموحا، وسماحة، وسموحة، وسمحا، أي صار من أهل الجود والسماحة (المنجد، ١٩٧٣: ص٤٣٩).

٥. وجاء في ابن مسكويه: ان التسامح ليس فضيلة واحدة، بل هو فضيلتان هما السماحة: بذل بعض مالا يجب، والمسامحة: ترك بعض ما يجب، والجميع بالارادة والاختيار، وكلاهما أحد أشكال السخاء، وينتميان في آخر

المطاف الى العفة التي هي من كبرى الفضائل، والتي يفترض في السلوك الاخلاقي أن يتمثلها، فهي الطريق الى الخير والسعادة (ابن مسكويه، ١٩٨٢: ص١٢).

٦. والتسامح اصطلاحا: كلمة دارجة تستعمل للاشارة الى ممارسات جماعية كانت أم فردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء (المزين، ٢٠٠٩، ص١١١).

٧. الويكيبيديا (٢٠١٤): بأنه السماح بحرية العقل أو الحكم على الآخرين (ويكيبيديا، ٢٠١٤).

٨. وعرفته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" Unesco docments and publications بأنه: الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا، ولأشكال التعبير وللصفات الانسانية لدينا، الذي يتعزز بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، وأنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، بل واجب وضرورة سياسية وقانونية، وهو فضيلة تجعل السلام ممكنا عالميا، وتساعد على استبدال ثقافة الحرب بثقافة السلام (منظمة اليونسكو، UDAP، ١٩٩٥).

٩. وعرفه فولتير (Voltaire,1778) : فيلسوف التسامح بحق، الذي ارتفع بالتسامح واقترب فيه من المفهوم المعاصر، بأنه خاصية الانسانية، ويقول: كلنا معجونون من ضعف وأخطاء، لنتسامح مع بعضنا البعض عن تفاهاتنا، وهذا هو القانون الأول للطبيعة (فولتير، ١٧٧٨: ص٥).

١٠. التسامح بالمعنى الحديث: قبول اختلاف الآخرين في الدين والعرق والسياسة وعدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو اكراههم على التخلي عن آخريتهم (الجابري، ٢٠١٣: ص١-٥).

ثالثا : طلبة وشباب الجامعة (University Students) :

انهم أفراد وجماعات ومجتمعات يمتلكون مجموعة من السمات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية، والتي تضفي عليهم بمختلف مستوياتهم مجموعة من الخصائص كالقابلية للعمل، وممارستهم لمجموعة من الأدوار المرتبطة بمكانتهم الاجتماعية في الأسرة والجامعة وباقي أنساق المجتمع الذي يعيشون فيه، إنهم طاقة دينامية مؤثرة إلى أقصى حد يمكن استثمارها في التعامل مع المشكلات المجتمعية بواسطة تفاعلهم الإيجابي بنزعتهم الاستقلالية ورغبتهم في التحرر لتأكيد ذواتهم ومحاولة أن يكون لهم رأيهم الخاص وموقفهم المتميز في كل القضايا المجتمعية، فضلا عن الرؤية العصرية المرتكزة على آليات التقدم التكنولوجي لمواجهة المشكلات القائمة، والرغبة في تغيير الواقع بالأستجابة للمتغيرات من حولهم واستيعاب وتقبل المستحدث، ورغبة واقتناع في تغيير الواقع الذي وجدوه ولم يشاركوا في صنعه، انهم يمتلكون الطاقة للتغيير والتشكيل نتيجة ما يمرون به من تجارب في حياتهم، وإن القدرات والهوايات والميول الخاصة بهم كشباب جامعي تظهر بوضوح فى المرحلة هذه، كما ينمو الانتباه والتذكر والتخيل وانواع التفكير سيما المبدع والخلاق والناقد والمزدوج، لذا يمكن استثمار ذلك وتوجيهه التوجيه السليم وتعزيز روح التسامح لخدمة البيئة والمجتمع، لأن من حاجاتهم الأساسية تنفيذ الجامعة لبعض توجهاتهم وتصوراتهم وتوفير راحتهم في العيش فى وحدات معرفية وعلمية واجتماعية تعد جزءا أساسيا من سياسة الجامعة التي سوف تعطيهم ذاتيتهم التى يبحثون عنها دائمًا (جلالة، ٢٠٠٩: ص٢).

الفصل الثاني

الأطر النظرية وأدبيات البحث ودراساته

أولا : التفكير– والتفكير المزدوج – والعقل دينيا واجتماعيا وعلميا

خلقنا الله سبحانه وتعالى وميزنا عن بقية خلقه بالعقل فقال: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ}، لنفكر بكل شيء حولنا ونتأمل بإبداعات الخالق سبحانه وتعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}، وأيضا لنستعمله في تحقيق مصالحنا الدنيوية والأخروية، فالإنسان يعيش في الحياة على ضوء ما تعلمه في ماضيه حتى حاضره, متأثرا بشكل أساس بما مدته به التربية بكل أشكالها من الآباء والمعلمين وغيرهم, مكونة له ثقافة دينية أو فكرية, فضلاً عن خبراته الحياتية وظروفه التي مر بها فكانت كل هذه الثقافة إناء يصب في عقل ذلك الإنسان, وعلى ضوء تلك الثقافة يتحدد السلوك والإتجاهات والميول والشخصية مما يؤدي إلى إنتاج شخصيات مختلفة ومتميزة ذات أطباع وإتجاهات وطرائق تفكير مختلفة، ويعد جورج أورويل (١٩٨٤)، منظر التفكير المزدوج الذي استخدم المفهوم في علم النفس بأن يحمل الفرد الفكرة ونقيضها في الوقت نفسه، كنوع من التفكير يعطي الشخص رؤية أكبر ومعاني أوضح واحتمالات أكثر عن أي شيء سواء سلبا أو ايجابا لاستيضاح الصواب أين يكون في النهاية، لذا فهو طريقة جيدة لاكتشاف الأمور من حولنا انه ببساطة رؤية شاملة للأمور يجب استغلالها وتنمية مهاراتها، بامكانية حمل الفكرة ونقيضها واعتبارهما صحيحتين في الوقت نفسه (George, 1984: p.80)، ويحدد جورج أورويل في رواياته (١٩٨٤)، عناصر بنية ثقافة الخوف في مقابل ثقافة الحرية، بأنها البنية المؤسسة على التفكير المزدوج. وعناصرها: أن تعرف وأن لا تعرف، أن تعي حقيقة صادقة كل الصدق وترى بدلا منها كذبات موضوعة بعناية، وأن يكون لديك في اللحظة نفسها وجهتا نظر متباينتين وأنت تعتقد، وتؤمن، بهما كلتيهما، وأن تستخدم المنطق ضد المنطق، وأن تنكر الفناء بينما تدعيه، وأن تنسى ما تدعو الضرورة أن تنساه ثم تستعيده إلى الذاكرة في اللحظة التي تحتاج فيها إليه ثم تعود فتنساه مرة ثانية، والأهم أن تطبق الطريقة نفسها في حالة الإيجاب والسلب، وان قاعدة التفكير المزدوج تتيح لك الهروب من تفكيرك، وتنقذك من ضغط الإكراه أو ضغط الخوف من الحرية، عندما تتبنى وجهتي نظر متباينتين وتؤمن فيهما كليهما (NET,40). فالتفكير المزدوج في حقيقته تفكير خارج الصندوق فالكثير منا ينهمك في أعمال روتينية وينساق وراء حلول مكررة دون التفكير في المتغيرات والمستجدات، لأنه من الأسهل أن نفعل ما كنا نقوم به دوما بطريقة آلية سيما في مؤسساتنا المختلفة فمثلا نجد بعض المدراء لديهم قدرة عجيبة على خنق الإبداع فيرسمون لموظفيهم إطارا لا يسمح لهم بالخروج منه معتقدين أن التفكير التقليدي يوفر مغبة المخاطرة في حين تعد القدرة على تحمل المخاطرة جزءا لا يتجزأ من مؤهلات النجاح، فالأهم ألا يعتاد المرء الخضوع للتفكير التقليدي، فهو يقتل القدرات الإبداعية للإنسان ويصيب التفكير بالشلل، فعلى الرغم من القواعد والإجراءات الروتينية التي وضعت لتنظيم العمل وتحقيق أفضل النتائج لكن الركون إلى

تطبيقها دون تفكير وتغيير يؤدي في النهاية الى الروتين والتشابه الأمر الذي يعطي أهمية لتعرف التفكير والتفكير خارج الصندوق (مغربل، ٢٠١٠: ص١)، وقد يضع الفرد على عاتقه نسبة كبيرة من الضغوط دون أن يكون لها أي مبرر, نتيجة لأتباع أسلوب تفكير خاطئ, كأنه يلبس نظارة سوداء تشوش عليه حقيقة ذاته وحياته، وقد يضع نفسه في هذه البوتقة دون أن يكون لها أي أساس من الصحة, فيعيش ضحية لأفكاره السلبية، مثل عقدة النقص والدونية, وتلاحقه أحداث الماضي, وعثراته, وفجواته, وذنوبه, وأخطاؤه, فكل من يعيش ويتوقع أنه يسير في عالم الإيجابية عليه أن يعرف حقيقة أفكاره فهي النداء الداخلي والمحاكاة النفسية التي تؤثر على العقل فتستجيب لها المشاعر والأحاسيس وينصاع لها السلوك بحسب نوعيتها فقد تكون فكرة سلبية أو فكرة إيجابية، وعليه فأن نوعية تفكيرك هي التي تحدد نوعية حياتك, فإذا كانت أفكارك سلبية تنم عن الإخفاقات والتعاسة والتذمر فإنك ستنقاد لها وتصبح حياتك نسخة لأفكارك وتعيش في إطار سلبي تكتنفه الآلام والأحزان والفشل, وإذا كانت أفكارك مشرقة متفائلة متأملة بالنجاح مكللة بالسعادة فإنك ستعيش في إطار إيجابي ينبثق منه شعاع النجاح والتقدم نحو ماتريده, وعليه فالإنسان نتاج أفكاره (NET,41)، ووفقا لذلك نجد نوعين من الناس، ذوي تفكير منفتح واسع ذو زوايا متعددة أو مزدوج، وأناس ذوي تفكير ضيق أو أحادي والذي يسلك صاحبه طريقة ذات إتجاه واحد دون وعي منه ويتسم بأنه محدد البداية والنهاية معتمدا على مالديه من معلومات معتقدا بكمال مخزونه المعلوماتي ويرى أن لكل مشكلة حل واحد أو حلين لا ثالث لهما، وصاحبه غالبا مستقر الفكر واثق النفس لا يتميز بالحيرة ويعيش حياة راضية ولكن ما إن يصطدم بمشكلة أو يكتشف شيئا مناقضا لما كان يعيشه لفترة طويلة من حياته فإنه يتلقى صدمة نفسية وفكرية ويقع في يأس وحيرة بالغتين ويصعب عليه الخروج منها وتظهر عليه في وقت الأزمة عدد من المظاهر الإنفعالية مثل التشكي من ظلم الحياة، وكره النفس، وإتخاذ موقف سلبي من نفسه ومن كل شيء, لأنه لم يتوقع أبدا إختلاف النتائج وتغير الظروف مما أدى إلى حدوث أزمة نفسية بالغة بالنسبة له، ومن أسباب أحادية التفكير :

١. الغباء (ناحية فطرية)، وتدني القدرات العقلية.
٢. قلة أو ضعف الخبرة في الحياة سواء نتيجة الإنغلاق عن الحياة وعدم خوض التجارب الغزيرة والنافعة أو نتيجة لضعف شخصية الإنسان المتلقي لتلك التجارب.
٣. سواء الشخصية وضبطها وتوازنها من ناحية الإنفعالات والمشاعر والرغبات النفسية المختلفة وصاحبها يعطي العقل فرصته للعمل والتفكير وتخزين المعلومات والتجارب بشكل سليم فيجعله في حالة نقاء وصفاء ما يؤثر إيجابيا بالقدرة العالية على التفكير الواسع المتعدد الزوايا والمتفتح, بعكسه الشخص العصبي المتفاعل مع الأمور بإنفعال داخلي لا علاقة له بما يحدث فتؤثر عليه الشحنة السلبية وتعيق عمل عقله فيخطيء بتفكير متطرف سلبي مؤلم.

٤. المعرفة والعلم فصاحب العلم الغزير والعقل المتفتح يحكم على الأمور بشكل مختلف تماما عن قليل العلم المحدود المعلومات.

٥. عوامل نفسية أخرى، تؤدي إلى جمود التفكير وأحادية التفكير مثل :

أ- المدافعة عن الذات المجروحة، فصاحبها لديه عيوب ونقاط ضعف فحين يواجه خبرات ومعلومات الحياة فإنها قد تجرح أو تمس عيبا أو ضعفا فيه فتحدث لديه مشاعر سلبية.

ب- التكبر والإنتفاخ، فالمتكبر كالأرض المرتفعة التي لا يبقى بها الماء (العلم), والمتواضع كالأرض الهابطة التي يجتمع بها الماء بسهولة (العلم).

ت- الإعجاب بالنفس وبالقدرات، لاسيما إذا رأى تفوقه الكبير على أقرانه أو عامة الناس.

ث- الكسل وإيثار الراحة، والسهل وضعف الإرادة والإهتمام بالسخافات طيلة الوقت (NET,42).

ومن أقفال التفكير التي تقف دون تصحيح المفاهيم، وتصنع أكبر عائق عن تفهم وتفكر كتاب الله وشرعه وإدراك الواقع والمشاركة فيه، والتقدم العلمي والتكنولوجي والحضاري، هي :

أ- سلطة المجتمع وضغطه، والأنا الجماعية التي تجرف الإنسان وتمنعه من التفكير السليم.

ب- الخرافة، توقف العمليات الذهنية المترابطة واستخدام العقل، لتختصر المشوار العقلي السليم بنتائج جاهزة للأشياء، مثل الساحر الذي يدعي علم الغيب وبواطن الأشياء بطريقة لا مدركة، فيختصر على السذج والأغبياء التفكير السليم كأصح عملية وأخص خصائص الانسان.

ت- القطعية والحدية وغياب المنطقة الرمادية للأشياء والحلول الوسط، فيتعود العقل على أن يأخذ كل شيء أو لا يأخذ شيئاً، يحب جميعاً ويكره جميعاً حتى في العلاقات العاطفية، فتثق النفس بالكلام وعدم القابلية للمراجعة أو التصحيح أو التفاهم والحوار.

ث- الانفعال، فالتفكير الانفعالي كردة فعل غير متزنة تجاه حدث أو نتيجة عوامل في نفس الإنسان كالغضب الذي يغلق مواطن التفكير السليم والكره وغيرها(العودة، ٢٠١٣: ص٢).

وعليه ولان التفكير هو وظيفة العقل الأساسية، والتفكر والتدبر والتأمل كلها مسميات لعملية تجعل العقل، عقلًا، وبخلافه فتكون له مزلات مثل :

أ- تعميم الحالات الخاصة، فبعض الناس نظرته جزئية للأحداث، فما يحصل له يظنه حاصلًا للجميع، وما يسمع عنه يظنه كذلك عند غيره.

ب- تضخيم الصغائر، من طبيعة العقل البشري أن يركز على ما يراه مباشرة، ما يجعل الأشياء تظهر أكبر مما هي عليه في الحقيقة، فترى فيها مالا تراه خلال مرورك السريع عليها.

ت- محورية الذات، بعض الناس يتصور أنّ ذاته محور من حوله، فيريدهم أن يفكروا بما يفكر، ويهتموا بما يهتم، ويهمشوا ما لايهمه، وكأن الآخرين قد خُلقوا له، وأعمالهم تتوقف من أجله، فلا اعتبار لنفسيات وحاجات ورغبات وطلبات من حوله، فعليهم أن يعذروه إذا قصّر، ويفهموه إذا غيّر

ولا يتضايقوا من غضبه إذا عبّر، ومثل هذا يَتعَب ويُتعِب، ولن تستقيم له أمور ولن تدوم له أنفس مالم يتدارك نفسه بعقال يلجم الذات، وتغيير يصحح التفكير.

ث- الاستسلام للأولية، من طبيعة النفس البشرية الركون للمعلومة البكر وإن كانت عارية من الدليل، لأنها تمكنت لديها وحين تنقضها معلومة سواء كانت بدليل أو بدونه، فالنفس تلقائيًا تجنح إلى تأييد الأولى، ولا مشكلة إن كانتا بلا دليل، فليست الاولى أحق من الثانية، ولكن عندما يكون الدليل مع الثانية، يكون المحك بين الاستسلام للمعلومة البكر، أوالخضوع لسلطان الحجة والدليل، فالنفس تميل إلى الأولى والعقل يدعو إلى الثانية.

ج- المعيار الذوقي، يضع بعض الناس ذوقه، معيارًا للآراء والأحكام، فما يراه جميلًا هو الجمال بعينه وما يعده فنًا هو الفن بذاته وما يعجبه هو المفضل دون شك وأما ما لايتوافق مع ذوقه ولاينسجم مع اختياره فهو لاقيمة له، والعقلاء يعرفون أن أذواق الناس تختلف كأشكالهم، فلا تجد ذوقين متطابقين لكن جل اختلافات الناس في ما بينهم غالبا هذا سببها.

ح- الاستغراق في اللحظة الحاضرة، فطبيعة النفس البشرية أنّ يتملكها الحاضر من دون اعتبار للماضي أو تفكير في المستقبل وحين تستولي اللحظة الحاضرة على الأذهان، تغيب عنها الحقائق وهذا ما يفسر كثرة وقوعنا في الأخطاء.

خ- السبب الواحد، تميل العقول البشرية في طبيعتها للأمور السهلة، لأنها توفر عليها عملية التفكير المتعبة فتركن لأي تفسير للظواهر وإن كان جزئيًا، حدث أو أحداث، بالسبب الواحد ليس في الأمور الشخصية البسيطة فقط، بل يشمل الظواهر الاجتماعية والأحداث السياسية.

د- وهم الاستغناء، من طبيعة الإنسان أن يطغى إذا رآه استغنى وكلما ظن أنه مستغنٍ عن غيره، كان أقرب للشدة والجفاء، وكلما ظن أنه محتاجٌ لغيره، كان أقرب للرفقة والصفاء، وما أجمل الرفقة مع عدم الحاجة، وما أقبح الشدة والإهمال مع عدم الاستغناء، فالعاقل يعلم ان حاجته للآخرين مِن دون تذلل سنة كونية، فأمور الحياة لاتستقيم لأحد من دون مساعدة أحد ومن توهم الاستغناء عن الخلق، ارتقى مرتقى صعبًا، أما من خدم غيره سهل الله له من يخدمه.

ذ- الاعتقاد بلا دليل، عندما يغيب العلم، وتميل النفس، وتسيطر البيئة، يصدر الاعتقاد بلا دليل، وهو من أعصى الأشياء على التغيير إن لم يتداركه توفيق، والمهندس الحاذق لا يبني أبراجه بلا براهين، ولا ينشئ الطرق بلا علامات، لذا يجب أن تستدل ثم تعتقد، وليس العكس.

ر- ماذا-لاَ- لماذا، مما جُبل عليه الإنسان، أن يتعلق بالظواهر من الأمور، ولا يقرأ ما بين السطور، فالناس ترى وتسمع وتسأل، ماذا يحدث؟، ولكن قليلهم من يسأل، لماذا يحدث ما يحدث؟، فاحتواء الأسباب، واستمطار العلل، واستنباط الحكم، بعيدة عن التفكير السائد، رغم أنها تفتح آفاقًا في الفهم، وزيادة في العقل (NET,44)، ومع كل أقفال ومزلات التفكير الآنفة يمكن للنفس تعديل طريقة التفكير بدليل أن الله سبحانه وتعالى حثنا في آيات كثيرة جدا على التفكر والتدبر والتعقل في الأمور من حولنا أو في أنفسنا للوصول للاقتناع والهداية، واستخدام أساليب تعديل التفكير

للأفضل عن طريق البرمجة اللغوية العصبية والتي أظهرت نجاحات كبيرة، ويمكن لأي شخص تعديل نفسه بمواجهة عيوبه وأخطائه ومشاكله بطريقة عقلانية منظمة بتحديد المشكلة أو الخلل ووضع افتراضات أفضل للتغلب عليها تتدرج من السهل الى الصعب ويضع لنفسه أهدافا سهلة يقدر على تحقيقها ويحاول التدرج للأفضل والأصعب بالاقناع الذاتي كونه يستطيع تحقيقه وأي شئ بتكرار المحاولة والاصرار دون يأس والتي غالبا ما تصل بنا لتعديل أنفسنا في النهاية (NET,43).

وعليه فتفكير الأشخاص نوعين ايجابي ومنفتح ومزدوج، وسلبي ومنغلق وأحادي كما يأتي :

صفات الايجابي ومنفتح التفكير	صفات السلبي وأحادي التفكير
يفكر في الحل	يفكر في المشكلة
لا تنضب أفكاره	لا تنضب أعذاره
يساعد الآخرين	يتوقع المساعدة من الآخرين
يرى حل لكل مشكلة	يرى مشكلة في كل حل
الحل صعب لكنه ممكن	الحل ممكن لكنه صعب
يعتبر الإنجاز التزاما يلبيه	لايرى في الإنجاز أكثر من وعد يعطيه
لديه أحلام يحققها	لديه أوهام وأضغاث أحلام يبددها
عامل الناس كما تحب ان يعاملوك	اخدع الناس قبل أن يخدعوك
يرى في العمل أمل	يرى في العمل ألم
ينظر الى المستقبل ويتطلع لما هو ممكن	ينظر الى الماضي ويتطلع لما هو مستحيل
يختار ما يقول	يقول ما يختار
يناقش بقوة وبلغة لطيفة	يناقش بضعف وبلغة فظة
يتمسك بالقيم ويتنازل عن الصغائر	يتشبث بالصغائر ويتنازل عن القيم
يصنع الأحداث	تصنعه الأحداث (NET,41).

ثانيا : التسامح – دينيا واجتماعيا وعالميا

يسجل مفهوم التسامح حضوره في عمق التجربة الإنسانية، ويتبدى في صيغ تتنوع بتنوع المجتمعات الإنسانية في إطار الزمان والمكان, والمراحل التاريخية، حيث عرفته الحضارات الإنسانية، وما يقابله من مفاهيم العنف, والتعصب, والعدوان، وقد تجلى في مختلف الآداب الفكرية للأديان السماوية السمحاء والأديان الوضعية، فالمفهوم العام للتسامح لايعني بالضرورة أن يرتبط بالجانب الاجتماعي على حساب جوانب الحياة الأخرى فكثيراً ما يستخدم اجتماعيا فيوحي بأنه من مفرداتها أو من مصطلحاتها، مع أنه من المصطلحات ذات المعنى العام والشمولي، ويتعدى الجانب الاجتماعي إلى الجانب الديني والاقتصادي وحتى السياسي، وله علاقة عامة وشمولية في كل جوانب العلم والمعرفة وله دور في مختلف أبعاد الحياة.

التسامح في الدين الاسلامي والقرآن الكريم

إن الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)وقدمه ذلك التقدم الملحوظ حمل بين طياته قوانين عدة مهمة عملت على نشره في شتى أرجاء العالم، منها الذي كان له الدور الأكبر والطائل في تقدم المسلمين في مختلف الميادين وهو قانون اللين واللاعنف والتسامح والسلم ونبذ العنف والبطش الذي أكدت عليه الآيات المباركة والأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ففي القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى:(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وقال:(وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا)، وقال:(وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وقال:(خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ)، وقال:(وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)، وقال:(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)، وقال:(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)، وقال:(إِنّ الذيْنَ آمَنُوا والذيْنَ هادُوا والصابِئُونَ والنَصارى مَنْ آمَنَ بالله واليَوْم الآخَر وعَمِل صالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنْ)، وبما أن معنى التسامح لغويا هو التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة لذلك جاء في السنة النبوية قول الرسول الأكرم (ص):(رحم الله امرئ سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)، فسيرة النبي وأهل بيته، كانوا أبرز تجلٍّ ومصداق لسلوك منهجية السلام والتسامح في الأمة؛ فالنبي الأكرم قائد الحركة السلمية اللاعنفية الأولى في تاريخ العالم، وهو حامل راية السلم والسلام لأنه يحمل للبشرية النور والهداية والخير والرشاد والرحمة والرأفة فيقول (ص):(إنما أنا رحمة مهداة)، ويتحدث القرآن الكريم عن رسالته فيقول:(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، فالرحمة والسلم والسلام جاء بها الإسلام للناس كافة، وكثرة لفظ وتكرار السلام على هذا النحو مع أحاطته بالجو الديني النفسي من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها ويوجه الأفكار والأنظار إلى المبدأ السلمي العظيم فالنبي الاكرم نجح في ثورته اللاعنفية نجاحاً كاملاً، وأقام النظام السياسي بدون انقلاب عسكري وجيوش وأسلحة وحروب وغزوات وبدون سفك دماء، وقال: إن أباكم واحدٌ, كلكم لآدم وآدم من تراب, إن أكرمكم عند الله أتقاكم, ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، واساس الجذور المعرفية والفكرية للتسامح في الإسلام بالاعتراف في كل أنظمته وتشريعاته، بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع، ولا يجيز أي ممارسة تفضي إلى انتهاك هذه الحقوق والخصوصيات مع وجود الكثير من نقاط الاختلاف بين البشر، ولكنه لا يجب أن يؤسس للقطيعة والجفاء والتباعد وإنما للمداراة والتسامح مع المختلف، وإن المنظومة الأخلاقية والسلوكية، التي شرعها الدين الإسلامي من قبيل الرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة وحث المؤمنين على الالتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة متضمنة جميعها مبدأ التسامح، وبواسطة هذه المنظومة على الإنسان المسلم دائما وأبداً وفي كل أحواله وأوضاعه، الالتزام بمقتضيات التسامح كسلوك وموقف ليس منة أو دليل ضعف وميوعة في الالتزام بالقيم، لان الغلظة والشدة والعنف في العلاقات الاجتماعية والإنسانية هي المضادة لطبيعة

متطلبات الالتزام وهي دليل ضعف لاقوة، وأن وحدتنا الاجتماعية والوطنية بامس الحاجة إلى غرس متطلبات التسامح في فضائنا الاجتماعي والثقافي والسياسي. هذا فضلا عن التسامح في الاديان الاخرى، فالمسيحية تقول أناجيلها: لقد قيل لكم من قبل أن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه أزارك وإن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين، ومن استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان، وعاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنّوا إليكم وإن متّم بكوا عليكم، فنصوص الإنجيل (الكتاب المقدس) هذه بدورها تتضمّن مبادئ التسامح في أَجْلى صوره، بل إنه فوق الطاقة، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة ولا غرابة في ذلك لان الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان، ومن نظرتنا للاختلاف والتعددية في الرؤية القرآنية وفي الاسلام، كحالة طبيعية وسنة كونية منذ خلق الله الخلق التي تعبر عن قدرة الله عز وجل ومشيئته، لقوله تعالى: ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين، وقوله: ما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ...، فالأمة البشرية او الانسانية واحدة، وتعني التساوي في الخلق والقيمة، رغم الاختلاف في الألسن والألوان والعقول والمعتقدات، فلا يجوز النظر الى اختلاف الجماعات البشرية عائقا حائلا امام التعارف والتقارب والتسامح والتعايش الايجابي، كما لا يجوز أن يكون هذا الاختلاف وهذا التعدد والتنوع، مبررا أو منطلقا للنزاع والشقاق والحروب والعدوان، بل دافعا الى التعارف والتعاون والتضامن والتآلف، من أجل تحقيق العيش المشترك، واثراء الحياة والنهوض بها، وتحسين الاجتماع البشري لقوله: يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، ولعل القول المشهور: "الخلاف لا يفسد للود قضية"، انما يتأسس على قاعدة العمل والمساواة، فكما أعطى لنفسي الحق في أن يكون لي رأيي الخاص بي، ووجهة نظري المستقلة، كذلك ينبغي أن أعطي ذات الحق لغيري، للآخر، لكل آخر، فلكل فرد في الوجود شخصيته المستقلة، ولا أدل على ذلك، ولا أبلغ هو مشيئة الله، من اختلاف بصمة ابهام كل انسان عن غيره (زقزوق، ٢٠٠٣: ص٧-٩)، ويعلن "ريتشارد مكيون"عن صعوبة ماهية التسامح، فيقول: أنا أعرف هذه الماهية, وإذا سألتني فأنا لا أعرف"، ويمتنع الفيلسوف الفرنسي "إميل بوترو"عن استخدام مصطلح التسامح فتعريفه أو تفسيره إنما يستند إلى موقف الإنسان منه، فيمكن أن يكون مجرد نية أو فكرة أو قد يتجسد في صورة ممارسة، وعلى الرغم من الإشكالية الكبيرة التي يطرحها التسامح فإن عدداً كبيراً من المفكرين يخوضون فيها ويحاولون الغوص في أعماقها، وكثير منهم يراه جوهر مفهوم حقوق الإنسان ومنطلقه، وإذا كان التعصب يشكل مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية في كثير من بلدان العالم، فإن التسامح هو المشهد الإنساني الذي تغيب فيه مظاهر العنف, وتعلو فيه قيم السلام. وهذا يعني أننا أمام مفهومين لا يتعارضان فحسب, وإنما يتنافيان على نحو الإطلاق: فالتسامح يعني غياب العنف والتعصب، والعنف والتعصب يعنيان غياب التسامح وبالتالي غياب السلام، وعالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين

الناس أكثر من أي وقت مضى، لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب، وأصبح الجميع يعيش في قرية كونية كبيرة، فالمجتمعات الإنسانية تنطوي على درجةً كبيرة من التباين والتوحد، يتجلى في العدد الكبير من الأعراق والأجناس والأديان والقوميات التي تحمل قيماً ومعتقدات تؤدي إلى ثقافات مختلفة، ويتجلى التوحد في أن كل أعضاء المجتمع الإنساني يشتركون في كونهم يسعون للعيش بكرامة وسلام وتحقيق طموحاتهم ومصالحهم، اذا ما يجمع الناس هو أكثر مما يفرقهم، وفي العصر الحالي فإن الاحتكاك وتواصل المجتمعات مع بعضها، وتشابك المصالح بينها نتيجة لثورة التكنولوجيا جعل التعايش والاتصال والحوار المفتوح ضرورات لتحقيق مصالح المجتمعات جميعها، فالتسامح مجموعة سلوكيات وممارسات فردية وجماعية تهدف إلى نبذ التطرف والتعصب، وتقويم كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة للقيم السائدة وإعادته إلى الطريق الصحيح بما يتوافق ومجتمعه الذي يعيش فيه، بالنهج المتبع لمواجهة التصرفات والممارسات الفردية والجماعية غير المبررة في أي مجال كان للحد من التصرفات العنيفة (الطالقاني، ٢٠١٣: ص٤)، اذا فالتسامح يؤدي إلى قبول الرأي والرأي الآخر دونما تعصب، بل بالنقاش الحضاري الهادف القائم على الحجة والإقناع، ويمكن أن يتخذ التسامح كنمط اجتماعي متصل سواء في علاقة الإفراد فيما بينهم، أو في علاقتهم مع السلطة أشكالاً متعددة منها التسامح في العلاقات الإنسانية والتسامح الديني والثقافي والعرقي وعندما يسود التسامح والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع، فانه يؤدي بالنتيجة إلى ترسيخ ثقافة الاحترام المتبادل بين الأديان والطوائف والمذاهب والتعايش والحوار العقلاني البعيد عن التعصب والكراهية واحترام حقوق الإنسان وحرياته العامة والانفتاح بين الثقافات والحضارات، وبالنتيجة تحقيق التوافق الاجتماعي والمكاسب المشتركة للمجتمع، لان سيادة ثقافة التسامح والابتعاد عن التعصب ومصادرة الرأي الآخر، يفسح المجال أمام أفراد المجتمع للتوجه نحو تحقيق غاياتهم المشتركة وبناء الوطن والافادة من مقدراتهم الفردية ومقدرات الوطن، لما يخدم الصالح العام (البوريني، ٢٠١١: ص١).

ويعد الفيلسوف الفرنسي "فوليتر"(François Marie Voltaire 1694-1778) فيلسوف التسامح بحق لأنه وضعه في صيغة المبدأ الأول لقانون الوجود الطبيعي وكأساس للحقوق الطبيعية للإنسان، ويقول "فولتير": كلنا ضعفاء وميَّالون لقانون الطبيعة والمبدأ الأول للطبيعة هو التنوع, وهذا يؤسس للتنوع في مجال الحياة الإنسانية وقبوله كحق أساسي للوجود ففي عصر التنوير خلال القرن (١٨) أخذت فكرة التسامح تأخذ أبعادها كحقيقة فلسفية, وبدأت تغطي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية وقد تأسست الفكرة على مبدأ إنساني قوامه ألا وجود للحقيقة المطلقة، ماأدى إلى الإيمان بالحرية وبمبدأ الاختلاف وضرورة التواصل بين البشر إلى أساس من قيم القبول والتسامح، وهنا يقول "فولتير", كلمته المشهورة: "إنني لا أوافق على ما تقول، ولكنني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله"، ثم يؤكد في معجمه الفلسفي على ضرورة التسامح وحاجة الانسانية

الى تعميمها بقوله: "ان استقصاء الطبيعة الانسانية، واكتشاف ما تحتويه من امكانية الزيغ والضلال، يجعل القول بالتسامح ضرورة طبيعية، وأن تعميمها يضمن لكل واحد الافادة منها، فلا أحد محمي من الوقوع في الخطأ"، ولقد شبه "فولتير" من يضطهد الآخرين بالوحش، وعمل على مجابهة أولئك الذين يضطهدون من يحمل آراء مخالفة، وعموما فان شرط التسامح وجود الاختلاف والتباين أصلا، فهو يبنى على أساس الاقرار والقبول بحقيقة ووجود الاختلاف والتنوع كحقيقة طبيعية وكونية قائمة بين الناس فان التسامح في حقيقته خاصية وحاجة انسانية، تتصل بانسانية الانسان التي كرمها الله، ويجب أن تحترم وتصان، وأن التسامح لا يلغي الاختلاف ولا ينفي التعارض، ولكنه يساعد على احالتهما الى اختلاف ايجابي وتنوع تكاملي وتوافقي بدلا من اختلاف التناقض والصراع، وأن التسامح قيمة أخلاقية وفكرية في الوقت نفسه، وتقوم على معاملة الآخرين كبشر واحترام انسانيتهم ومشاعرهم ومعتقداتهم وطريقة حياتهم بغض النظر عن ألوانهم أو أجناسهم أو انتماءاتهم الدينية والعرقية، وفي ذلك تتجلى قيم العدل والمساواة والأخوة الانسانية (فولتير، ١٧٧٨: ص٢٦٣-٢٦٤)، ويقوم المفهوم المعاصر للتسامح على مبادئ حقوق الإنسان العالمية، حيث ربطت وثيقة إعلان المبادئ العالمي الصادرة في(١٦/ تشرين الثاني/نوفمبر(١٩٩٥)م) بين التسامح وحقوق الإنسان والديمقراطية والسلم وارتقت به إلى صورة قيمة قانونية تتطلب الحماية من قبل المجتمع الدولي حيث ورد في البند الأول منها حول التسامح الصادرة عن اليونسكو بصدد معنى المفهوم أنه يتضمن العناصر الآتية:

١. قبول تنوع واختلافات ثقافات عالمنا, واحترام هذا التنوع.
٢. الاعتراف بالحقوق العالمية للشخص الإنساني، والحريات الأساسية للآخر.
٣. انه مفتاح حقوق الإنسان, والتعددية السياسية, والثقافية, والديمقراطية.
٤. تطبيقه يعني ضرورة الاعتراف لكل واحد بحقه في حرية اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه، وأن لاأحد يفرض آرائه على الآخرين، واتضح أن هذه المعاني الغنية والمتعددة الأبعاد تؤسس التصور الجديد للتسامح الذي تربطه علاقة ضرورية مع حقوق الإنسان، والديمقراطية، والسلم، ما يجعل المفهوم الجديد يتجاوز حدود الدين, والفرد ليصبح حقا يمكن الدفاع عنه, وحمايته في نسق حقوق الإنسان الأخرى (منظمة اليونسكو، UDAP، ١٩٩٥)، ولعل معرفة دوافع ومسببات التسامح من عدمه والتي تجعل المرء يختار بين خيارات سلوكية عدة في وضعية خلاف مع الآخر أمر في منتهى الأهمية، فبعض العوامل تكون مؤثرة عندما يتعلق الأمر بالتمييز بين مفهومي التسامح واللامبالاة، أو بين التضامن والمحبة، ولكن هؤلاء الذين يتبنون مبدأ حق الآخر في الوجود وحقوقه في تطوير ذاته وقدراته إلى أقصى الحدود الممكنة، وحدهم يمكنهم قبول التنوع والاختلاف والرأي الآخر، ويدركون ضرورة البحث عن حلول إنسانية وموضوعية للصراع، وان مبدأ حق الآخر في التطوير الذاتي لإمكانياته ووجوده، من أهم بواعث التسامح، التي قد تكون دوافع شكلية وليست جوهرية، حيث تبدو في ظاهرها ممارسات تسامحية ولكنها في حقيقة الأمر قد تكون ممارسات لا

تستند إلى المبدأ الإنساني للتسامح الحقيقي ذاته، فيطلق عليه مفهوم التسامح الظاهر، وهو قائم على موازنات بين العوامل الإيجابية والسلبية للصراع، وبعد المقارنة وحساب النتائج يتم اختيار السلوك الذي يوحي بأنه سلوكا تسامحيا فالتسامح الظاهر ينجم عن عوامل عدة مثل تجنب الصراع وعدم وجود الوقت الكافي للانخراط في الاختلاف مع الآخر أو بدواعي الشفقة أو بدواعي إعطاء انطباعات جيدة عن الشخصية إزاء الآخرين وكما نجده في دوائر العمل حيث يتجنب الموظف مصادمة رئيسه فيؤثر الخضوع تجنبا للأضرار المادية والنفسية التي قد يتعرض لها جراء الصراع والاختلاف (وطفة، ٢٠١٣، ص١).

وعليه فان للتسامح الحقيقي مباديء وضوابط تكشف عنه وتحدده مثل :

١. القدرة على قبول الآخر المختلف واحترامه ومحاورته والاعتراف به وعدم تنميطه أو ازدرائه ويشير الى ثقة الذات بنفسها وادراكها لهويتها وما تتحلى به من ميزات وخصائص.
٢. يقوم على حق الاختلاف الذي لا يقود الى الصراع، وادراك معاني التعددية والايمان بالعلاقات المتوازنة بين الأفراد والجماعات.
٣. قراءة واكتشاف الآخر ومايمتلكه من رؤى تمثل قانونا في العلاقات الحضارية وتنطوي جوهريا على الايمان بحق الاختلاف بالمشترك الانساني واحترام التعددية في الهويات والثقافات.
٤. ان التسامح روح حضاري جوهره العدالة وقوامه الرحمة وأساسه الحوار وان الذات لا يكتمل تبلورها الا في مرايا الآخر.
٥. ان الحوار هو صوت العقل وان أيّة أصوات أخرى ترفضه انما تستمد بلاغتها من اجواء الصراع والعنف والتعصب والعدوان (الشيخ، ٢٠٠٣: ص٢-٨).
٦. يجب ألا يقصد به التساهل في الالتزام بتعاليم الدين وقلة التمسك به أو التنازل عن الحقوق الأساسية الضرورية للحياة سواء كانت للفرد أو للجماعة كحق الحياة وحق العلم وحق العمل وصون الكرامة والحق في الأمن والاستقلال والتحرر والسيادة، وهي حقوق التمسك بها والتعصب لها مشروع والتفريط أو التساهل بها خيانة.
٧. أن يكون تسامحا مع القدرة على دفع العدوان ورد الاساءة والأذى، فلا يكون صمت العاجز وسلبيته تسامحا، فالعفو مع المقدرة على جزاء السيئة بمثلها، فيشعر المعتدي بأن العفو انما جاء سماحة، فيعيد حساباته ويخجل ويكون للتسامح أثره التربوي والاجتماعي.
٨. أن يكون تسامحا في حزم، ويكون في خير والانتباه الى ما تخفيه بعض دعاوى التعددية وراء مظهر التسامح من دعوة عنصرية لفرض ثقافات وقيم وتوجهات معينة على الثقافات الأخرى، لان التعددية تسوي بين جميع الأطراف فلا يصبح هناك حق وباطل أو جيد ورديء أو أعلى وأدنى بل الكل سواء طالما أنهم في سياق التعددية.

٩. التسامح ليس مطلقا ولا مفتوحا على كل الأوضاع والاحتمالات بل يجب أن يكون مقننا وتراعى فيه نسبة الصواب والخطأ ولا يجوز أن يفهم كنوع من الانفلات واللامسؤولية فالاسلام أسسه راسخا لتنظيم العلاقة بين المسلمين وأنفسهم وبينهم وبين غير المسلمين.

١٠. لا ينبغي أن يفهم التسامح على أنه موقف الضعيف ولاموقف الامتنان أو التعالي بابداء الصفح والعفو من موقف الترفع على الآخرين ولا موقف التردد والاضطراب واللاحسم، انما هو موقف قوة الضمير وشفافية النزعة الانسانية للمتسامح وسمو روحه الاخلاقية (المزين، ٢٠٠٩: ص١٩١).

وهكذا فان طريق التسامح لا يخلو من عوائق وتحديات تحول دونه والحوار مع الآخر بشكل عام، وينتج عنها فكر جامد وسلوك غير متسامح مثل:

١. التخلف الحضاري وعدم القدرة على التوفيق بين التنوع الثقافي القائم مما يؤدي الى الصراع والنزاع والتناحر الحضاري والاحتضار الفكري.

٢. الانغلاق العقلي الذي لا يقوى على البحث عن الحقيقة في كل شيء لانه عقل مشروط بفردية ذاتية وخلفية جامدة صلبة فلا يتعايش مع العقول الاخرى.

٣. جهل المتعلم فلا يجعل علمه ثقافة ترقى به حضاريا وانسانيا بل يبقيه متحجرا في دائرة الأنا المتملكة غير المسؤولة، ساعية لمصلحتها الذاتية وتقيس كل شيء بمحدودية متمركزة في مهنتها.

٤. انكار العقل العام المشترك وعدم الاحساس به، الذي يشترك جميع الناس به بتفكير وشعور واحساس واهتمام وتخيل وتصور فالاعتراف بهذا العقل يشير الى وحدة البشرية واسهامها قاطبة بمعطيات واحدة وانواع تفكيرها كقاسم مشترك وحقيقة تؤكد تنوعات التعبير الفكري.

٥. الانكفاء على الذات وتغلغل آفة التعصب والعنصرية في فكر ووجدان بعض الفئات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

٦. أما العوائق التي ترتبط بالسياسات العامة والاوضاع الاجتماعية العامة في مجتمعاتنا وآليات السياسات الخاطئة في مواجهة العنف بالعنف بعيدا عن دراسة الاسباب الحقيقية الكامنة وراءه، ودون العمل على بناء الروح الانسانية المناهضة له وغياب شروط العدالة الاجتماعية والديمقراطية بمختلف مستوياتها الذي ينتج التعصب والحقد والكراهية والعنف كوسائل الاتصال والاعلام والاساطير والكتب الدينية والامثال الشعبية والاغاني والرغبة المتسلطة في السيطرة الكاملة للحفاظ على الهوية والسيطرة الاقليمية وانتصار مذهب سياسي رفضا للاختلاف والتنوع الذي يمارس بأبشع صوره حينما تسفك الدماء وتستباح الحرمات، والكثير الكثير من عوائق التسامح التي تحيط بالانسان منذ لحظة ولادته في أسرته ومجتمعه (اليازجي، ٢٠٠١: ص٣-٨)، ولا يمكن التغلب على أي من العوائق الآنفة دون التسلح بالتسامح الايجابي الشامل، لأنه شرط من شروط السلام الضروري للمجتمع الانساني، والاسلام يطالب أتباعه بالالتزام بالسلوك العادل الذي لا يقف عند حد القبول بالآخر فحسب، بل ويحترم انسانيته وثقافته وعقيدته وخصوصيته وهذا هو التسامح الايجابي وليس التسامح الحيادي الذي يقف عند ترك الآخر وعدم التدخل في سلوكه، حتى لو كان يتنافى مع قيمنا كالغربيين، ويقول

الله تعالى: ((لا يَنهاكُمْ الله عَنْ الذيْنَ لَمْ يُقاتِلوُكُمْ فِيْ الدِيْن وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُوهُمْ وَتُقْسِطُوْا اليْهِمْ اِنَّ الله يُحُبُ المُقْسِطِيْنْ))، وفيها ثلاثة توجيهات آلهية مباركة، الاول: أن الله سبحانه لم ينه عن التسامح مع الآخرين، والثاني: أن التسامح مع الآخرين الذين لم يعتدوا علينا والتعايش الايجابي معهم، ببرهم والقسط معهم، هو العدل بعينه، والثالث: أن من يسلك هذا السبيل يحظى بحب الله تبارك وتعالى، وحب الله دائما هو أسمى غاية، وأعلى منزلة يتطلع اليها المسلم، اذا فالتسامح الايجابي الشامل يعترف بحرية وكرامة كل انسان واننا مطالبون اخلاقيا وانسانيا ودينيا أن نكون متسامحين مع كل البشر بصرف النظر عن انتماءاتهم الثقافية والعرقية والدينية والايديولوجية (زقزوق، ٢٠٠٣: ص٤).

التسامح الفكري والثقافي والعلمي

ويعد من المجالات الأساسية للتسامح والذي يشير الى احترام الآخر المختلف ثقافيا، والاقرار بامكانية التعايش في اطار التباين والاختلاف الثقافي، فلا داعي للصراع والاقتتال والتناحر، والتسامح الفكري يقتضي آدابا للحوار والتخاطب وينفي التعصب للأفكار الشخصية، ويؤكد بالحق في الاجتهاد والابداع، ويقوم على الاعتراف بتعددية المواقف الفلسفية والفكرية الانسانية، ويقر بتنوع الآراء والقناعات والأفعال والأخلاق الناجمة عنها، فالانسان المثقف الحضاري هو من يتميز بموقف مشارك كلي وشامل للأمور والقضايا التي تحيط به، ويتميز بسلوك انساني أصيل ازاء جميع امكاناتهم، وهو الانسان الذي ينتمي بفكره وثقافته الى جماعة انسانية متمثلة بالمجتمع وبالبشرية على حد سواء (اليازجي، ٢٠٠١: ص١٠)، وان الثقافة والفكر التسامحي الذي يتسم بالسعة والاستنارة والرحابة الذهنية والمرونة والانفتاح هما الكفيلان بتحصين المجتمعات من مظاهر العنف والتعصب والتطرف والتحجر والانكفاء على الذات، وان عدم التسامح يؤدي الى موت الفكر لان مضمونه يتجاوز مجرد معنى الكلمة الى التعبير عن موقف واعتقاد فكري وثقافي واجتماعي يرى الانسان ذاته والآخرين بواسطته وقد تجاوز مفهوم التسامح حدود الدين ليقترن بحرية التفكير وينطوي تدريجيا على منظومة من المضامين الثقافية والفكرية والاجتماعية، أوحت بها التطورات المتلاحقة عبر المراحل الزمنية، فالتسامح الفكري يقابله التعصب الفكري، والانفتاح العقلي ضد الانغلاق العقلي، والتحجر ضد التفكر، ورفض الآخر وعدم قبوله ضد التواصل والتعايش والتوافق معه، وكذا العصبية والحمية ضد التجرد للحق والانتصار له، وهكذا يتبين كم هي محمودة وجميلة القيم التسامحية وقريبة الى النفوس، وبالمقابل يتضح كم هي ممقوتة ومذمومة ومنفرة معاني التعصب والتحجر والعصبية، فالحاجة الى تجديد فكري وثقافي تسامحي يكون قادرا على قراءة الآخر وتفحص ما لديه من أفكار وتوجهات والى بناء فكري عن طريق مؤسسات فكرية وثقافية مستقلة عن السلطة ومستقلة عن الأحزاب والقوى المتنفذة لتضطلع بدور حقيقي وجاد في عملية البناء الديمقراطي والثقافي والمجتمعي السليم بعيدا عن ضغوطات السلطة واملاءاتها وبعيدا عن الايديولوجيات المغلقة وترتكز الى حقيقة التعددية كحقيقة كونية تقتضي الاعتقاد فكريا وثقافيا بأن الحقيقة والقيم متعددة الأبعاد ما يحتم احترام الرؤى

والمزاعم المشابهة الأخرى سواء كانت لأشخاص أولجماعات كما تتطلب جهدا فعالا لادراك حقائق الآخرين وقيمهم وتقويمها والافادة منها قدر الامكان وهذا لن يستقيم بدون احترام الآخرين وقبولهم والتسامح معهم وتقدير مالديهم (الهاشمي، ٢٠٠٧: ص١٢-١٥)، ويتضمن التسامح الفكري والثقافي الاقرار بمبدأ التعدد الانساني والاعتراف بالآخر والايجابية والانفتاح العقلي والتواصل والمشاركة والموضوعية وأدب الحوار وسعة الصدر ورحابة الذهن والوسطية والاعتدال وأدب الاختلاف والاقرار بنسبة المعرفة والتفكر والأخوة الانسانية ونبذ التعصب والتزمت والحرية العقلية والأمانة والانصاف والتوازن والشفافية والمصداقية والنزاهة والتجرد وسعة الرأي وقبول وتقدير التنوع الثقافي والحيدة وعدم الانحياز والمسؤولية الفكرية والاقرار بمبدأ التعايش في اطار التباين الثقافي وحق التعبير وهذا التسامح الفكري والثقافي بدوره سوف يخلق تسامحا علميا، اذ اعتقد (كارل بوبر Buber Karle,1994، صاحب المنهجية العقلية في العلم، أن مباديء التسامح تشكل الموقف العقلي الذي يفترض أن يكون أساسا لبناء الأخلاق والعلم، ومنهج العلم، فقال: في الوقت نفسه أرى المباديء الثلاثة للموقف العقلي أوالنقدي الذي أعتقد أنه أساس الأخلاق وكذلك موقف العلم، ومنهج العلم، الذي يقوم على مبدأ يجعل السجال النقدي في خدمة الحقيقة، وهي:

١. قد أكون على خطأ وقد تكون أنت على صواب.
٢. عبر تفاهمنا حول الأمور بشكل عقلاني، قد نصل الى تصحيح أخطائنا.
٣. اذا تفاهمنا على الأمور بشكل عقلاني، قد ندنوا معا من الحقيقة.

ويؤكد "بوبر" أن تحقيق تقدم حقيقي في العلوم، يستحيل من دون تسامح، وبدون احساسنا وطمأنينتنا بالقدرة على اذاعة أفكارنا علنا مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك، ويرى أن التسامح والتفاني في سبيل الحقيقة هما اثنان من المباديء الأخلاقية التي تؤسس للعلوم من جهة وتسير بها العلوم نحو التقدم من جهة أخرى بينما يرى في التواضع العلمي والمسؤولية الفكرية، فضلاً عن الالحاح على أننا لا نفكر بأنفسنا، بل بالحقيقة والسعي الى الاقتراب منها عن طريق النقد، كمبدآن آخران لتقدم العلوم (كارل بوبر "Buber Karle", ١٩٩٤: ص١). فضلا عن مباديء التواضع العلمي والاقرار بالخطأ والنقص عن بلوغ الكمال وعدم الاحاطة بالحقيقة والحاجة في الوصول أو القرب منها الى جهود الجميع والاقرار بفضل كل صاحب جهد وعدم التسامح يؤدي الى موت الفكر وجمود التقدم في العلوم على أخلاقها وغياب القدرة على الاكتشاف وقهر امكانيات الاختراع الرافض لكل قديم، وكبت الأفكار ومانع للحرية الفكرية والعلمية، ولا يمكن لأمة من الأمم أن تحقق تطلعاتها في التقدم والتطور الا على قاعدة العلم والبناء العلمي يلزمه التسامح والتواضع العلمي والفكري، والوقوف على حقيقة القصور الانساني واستيلاء النقص لدى البشر، واحترام جهود وآراء الآخرين باختلاف هوياتهم ومعتقداتهم، فالعلم والمعرفة تراكمية أسهم ويسهم في بنائها كل البشر وجميع الحضارات على مر التأريخ الانساني المتقدم والبناء العلمي بضوابطه الأخلاقية وآفاقه الواسعة يعيد للانسان انسانيته المسلوبة، والبداية تنطلق من تحرير العقلية العربية من بعض المورثات والمفاهيم التي تعيق الفكر وتعرقل المسيرة

العلمية، وفي مقدمتها التعصب واللاتسامح وانكار جهود الآخرين والتحجر العلمي والركون الى الذات وضيق الأفق وعدم الانفتاح على العلوم والأفكار والمنجزات العلمية في كل زمان ومكان (محفوظ، ٢٠٠٤: ص١٣٥-١٣٩)، فالحقيقة العلمية المطلقة لا يمتلكها البشر وانما هي موزعة بينهم وتحتاج للدنو منها والاحاطة بجوانبها الى انفتاح وانصات وتواصل مستمر للآخرين أيا كانوا بدافع التعلم منهم وليس لاحترامهم فحسب سيما خصومنا وأندادنا فنصغي الى فكرهم وطرائقه وعيشهم والأسس الفكرية والعلمية التي ينطلقون منها لتدعيم آرائهم ومنطقهم فقيل: "الا تنظروا الى من قال ولكن انظروا الى ما قيل"، وقيل: "المتواضع في طلب العلم أكثر الناس علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً"، فالتسامح في مسيرة العلم والفكر وحرية التعبير دون مصادرة أو قمع الآخر يوفر التطور والابداع بعكس الاحتكار العلمي والمعرفي وتقييم الانسان ثقافيا وعلميا يجب ان يتم بغض النظر عن سنه أو جنسه، وأن نسقط الخرافات والأفكار التي تحقره، وهذا التسامح الفكري والثقافي سوف يخلق تسامحا علميا، فالسبق العربي والاسلامي للتأسيس للتسامح وتدشين المباديء والمنطلقات الاساسية له تعود للدين الاسلامي الحنيف وشريعته السمحة وتعاليمه ونصوصه البينة والتي تهدف في محصلتها لسعادة البشرية وفلاحها وتحقيق أمنها وسلامها وذلك بتربية الاجيال المستمرة على هذه المباديء بالعقيدة ومنهجها الرباني واحاطتها بقدر كبير من القداسة والرفعة في وجدانهم ونفوسهم والارتكاز عليها في كافة تعاملاتهم الاجتماعية والانسانية ولابد لهذه التربية الراشدة من الاستمرار والتواصل مهما تبدلت احوال الامة، واحياء القيم وترسيخها في حياة الاجيال احياءا للدين وبعثا لتاريخ الامة العربية والاسلامية وامجادها العريضة (منصور، ٢٠٠٥: ص٥).

دور وسائط التربية والتعليم في تعزيز روح التسامح لدى المجتمع

التربية "عملية تفاعل اجتماعي تنتقل بواسطته عناصر الثقافة إلى الكائن البيولوجي السيكولوجي فيتحول إلى كائن بشري إنساني خلوق، فهي الضابط الأخلاقي وتلعب وسائطها دوراً كبيراً في إشاعة التسامح واللاتسامح، فالطفل لا يولد بمعتقدات وأفكار مسبقة عن المجتمع وما فيه من تقسيمات طائفية وعرقية وجهوية ومناطقية وتقاطعاتها المختلفة، وإنما يتم نقلها بواسطة وسائل التنشئة الاجتماعية المتمثلة في الأسرة والمدرسة والأصدقاء وأماكن العبادة ووسائل الإعلام المختلفة ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الترفيه المقبولة في المجتمع وجماعة الأصدقاء..الخ، فضلا عن ما تنقله التربية من ثقافة المجتمع من مضامين تمييزية عنصرية من خلال وسائلها المختلفة ضد الآخر أياً كان جنسه أو لونه أو معتقداته أو ثقافته أو منطقته، وقد تحمل مضامين تسامحية تجعل المجتمع يعيش في سلام حيث تعد المواطنة أهم ما يسعى إليه المجتمع، وبينت الدراسات والأبحاث الاجتماعية والنفسية عن فلسفة التربية على التسامح أن ممارسة القوة والتسلط في العملية التربوية تؤدي بدورها إلى توليد التسلط الاجتماعي والسياسي على المدى البعيد، والتسلط التربوي يشكل المنهجية التربوية التي تتبناه الأنظمة السياسية ذات الطابع الشمولي والذي يعني في جوهره رفضا للتطور الطبيعي وتنكرا لوجود الآخر الذي هو تعبير عن وجود فرضته الطبيعة واقتضته فطرة الكون، وينجم عن هذا

التسلط أيضا رفضا للتسامح وتعزيزا للتعصب والعنصرية. فالتربية التسلطية تؤدي إلى الخضوع والامتثال ويتحول الفعل التربوي إلى ممارسة تكرس على مبدأ الترويض والإخضاع وتعمل على تغييب التفكير النقدي الذي يصدر عن الفرد ذاته، بينما التربية الحرة التسامحية يمكنها وحدها أن تعمل على بناء شخصية الطفل وكينونته الذاتية الحرة رافضا للتبعية والخضوع وقادرا في الوقت نفسه على تحليل الواقع وتغييره والتأثير في مكوناته وتوجيه مساره فلا بد من إحداث طفرة في التفكير وفي الأنساق التربوية القائمة وفي أنظمة التعليم السائدة، ولنعلم أن الذكاء لا يمكن أن يكون سببا بل هو دائما نتاجا للتربية الحقّة التي لا تكون بالدروس في القاعات والصفوف بل عبر الحياة وفيها ومنها وإليه، حين نضع التقاليد الصارمة موضع النقد والتحليل والرفض والمساءلة وهذا ينسحب على العقائد والأفكار والنظريات والقيم التي تسود وتهيمن في دوائرها المقدسة بعيدا عن كل مساءلة ونقد بتعليم الناشئة على أهمية التحول إلى فردوس السلام والأمن والتسامح (الحيمي، ٢٠١٣، ص١)، وان اشتقاق الاهداف التربوية من فلسفة التسامح الذي يأخذ دورا مركزيا في الحياة الإنسانية المعاصرة بحسب المجتمعات من تنوع وتعدد وتباين واختلاف فالتسامح بمختلف معانيه يمثل حاجة ديمقراطية في الصميم وضرورة لا محيد عنها في المجتمعات الديمقراطية، لانه يسمح للأفراد بالحياة المشتركة وقبول الاختلاف وتقدير أنفسهم وأفعالهم ووجودهم الإنساني، فتأتي أهمية المعارف العملية للتسامح بوصفها ضرورة حيوية لتنظيم السلوك بعيدا عن كل أشكال العنف والتشنج والصراع، والقدرة على التنظيم السلمي للحياة يشكل جوهر الحياة الديمقراطية وموطن قوتها، فالمعارف والمهارات التي تشكل عماد المعرفة العملية في مجال ممارسة التسامح يمكن تعلمها واكتسابها. ولأجله يجب إعداد وبناء المناهج التربوية المناسبة على أساس النظريات التربوية والتجارب الميدانية الجارية في هذا الميدان، كبناء التقنيات التي تمكن الفرد من السير بمقتضى التسامح وربطها بالنظريات التربوية المعاصرة حول التربية عليه وحقوق الإنسان، أي بناؤها وفقا لمعايير تمكن الأفراد من تجاوز كل السلوكيات القائمة على سوء الفهم والتقدير والنظر لذلك بوصفه أمرا طبيعيا ومن ثم التغلب على الاختلاف والتباين عبر الاتصال مع الآخر والتواصل معه والافادة من مختلف التجارب التربوية في مجال التسامح والتربية عليه وتدريب الأفراد على اختبار نتائج التسامح الحقيقي بالمقارنة مع السلوك القائم على مبدأ اللاتسامح، والتعريف بوجود إمكانيات ووسائط أخرى متعددة يمكن توظيفها في وضعيات الاختلاف والصراع وتزويد الأفراد بمعلومات مؤكدة عن هذه الوسائط، والسؤال الآن أين هو المكان المفضل لممارسة هذه التربية التسامحية؟ هل تمثل هذه التربية على التسامح مهمة مجتمعية على وجه العموم أم أنها مهمة تقع في فناء المدارس وعلى عاتق المعلمين؟ وهنا لا بد من القول بأن مسؤولية التربية التسامحية تقع على كاهل المدرسة ومؤسسات المجتمع في آن واحد، فدورها هذا يشير الى عمل أو وظيفة أو موقع يقوم به بعض أفراد المجتمع ويفرض أنماطا سلوكية محددة يتوقعها المجتمع عادة من القائمين به ويتحدد على أساس موقعهم الاجتماعي، بغض النظر عن تنوع الادوار هذه ومراوحتها بين ما هو اضطراري كدور الأب وأدوار القرابة الأخرى وبين ما هو اختياري

كدور الرئيس والمعلم والتلميذ (الحاج، ٢٠٠٦: ص١)، انه مجموعة من الأنشطة المرتبطة أو الأطر السلوكية التي تحقق ماهو متوقع في مواقف معينة، وتترتب على الادوار امكانية التنبؤ بسلوك الفرد في المواقف المختلفة (مرسي، ٢٠٠١: ص١٣٣)، فالتربية على التسامح والديمقراطية ليست من أجل إعداد الأفراد للحياة في المجتمع والتفاعل مع مكوناته على نحو إنساني فحسب، بل يجب علينا أن ننظر إليها بوصفها حياة حيّة وفاعلة يعيشها الأفراد في كل لحظة من وجودهم وحياتهم الاجتماعية، ومع أهمية الجانب الاجتماعي لتربية التسامح فإنه يجب علينا القول بأن المدرسة والجامعة تمثل المكان الحيوي الاستراتيجي لضمانها فلا بد من تعلم وتعليم فن التربية على التسامح التي يكمن فيها داء العنف ودواؤه تيمنا بالحكمة التي تقول "داوها بالتي كانت هي الداء"، فالتربية يمكنها وخلافا لدورها التقليدي أن تحمل الأمل بالتسامح والسلام في عالم أنهكته الحروب وأثقلته مظاهر العنف والعدوان، وهناك اليوم أنماط وأشكال وصيغ ومنهجيات تربوية واعدة بالتحضير الإنساني للسلام والإخاء والتفاهم بين الأفراد والجماعات والأمم، لذلك توصف التربية بأنها الداء في ممارستها الكلاسيكية ويمكنها أن تكون الدواء إذا عملت على بناء أجيال جديدة قادرة على التفاعل الإنساني، ومجهزة للعيش في عالم مختلف متنوع الثقافات والديانات والعقائد والإثنيات، فروح التسامح تجلت في الآيات الكريمة من كتاب الله كما تبين آنفا، والتي تؤكد ان الأصل في العلاقة بين بني الانسان بصرف النظر عن اتجاهاتهم الايدلوجية والفكرية، هو الرحمة والاحسان والبر والقسط وتجنب الايذاء، سيما الفكري واللفظي، ما يدل على ان روح التسامح تتجسد في الكلمة التي تصل الى القلوب وتحقق الاهداف لما فيها من رؤية ولين وقدرة على الاقناع وما تحققه من ضمانة الثبات والتمكن لافكارها في القلوب والسلوك، فالكلمة السمحة اللينة السهلة تدخل القلب برفق وتعمق المشاعر بلطف فتهدي القلوب الشاردة وتؤلف القلوب النافرة وتدعو الى سلوك الطريق الاحسن في مقام الجدل وصراع الفكر(زقزوق، ٢٠٠٣، ص٨). لذلك يمكن للتربية على التسامح أن تعمل بآليات جديدة على تنشئة الأجيال بروح مخضبة بالقبول والانفتاح فالأجيال الحاضرة غير قادرة اليوم على مواجهة العنف والتطرف لأنها لم تزود تربويا بالمهارات والقيم التي تكفل لها ممارسة التسامح والإيمان بقيم السلام في مراحل الطفولة والصبا والشباب، وهذا العجز تؤكده اليوم وسائل الإعلام التي تبين لنا في كل يوم وليلة حجم المآسي التي ترتكب بحق الإنسانية والإنسان من عنف وحرب وقتل وتدمير ما ولد في نفوس الأطفال والناشئة النزوع إلى العنف والكراهية وممارسة كل أشكال الضغائن والأحقاد ضد الآخر والإنسانية على حدّ سواء، فالحاجة ضرورية إلى استحضار منهجية دقيقة وفعالة تمكننا من ترجمة التسامح إلى عمل وأداة في الممارسة وخدمة الأهداف التربوية وفي متناول المعلمين المعنيين بالتربية المدنية، وإذا كان التسامح في حقيقته من خواص المجتمعات الديمقراطية فيجب التفكير في المناهج العملية والوسائل الفعالة التي تسمح للمعلمين والمربين بتعليم التسامح وتأصيل قيمه ومهاراته الأساسية (وطفة، ٢٠١٣، ص١-٢)، وعليه يتضح ان التسامح ثقافة تكتسب أكثر من كونه طبيعة كامنة في ذاتنا ويتطلب توافر أرضية اجتماعية وتربوية يكون من العسير بدونها اقناع الناس باعتناقه

فيقدم المرء أفكاره دون فرضها واتاحة الفرصة كاملة وترك الحرية للتعبير عن الرأي والأفكار لكل فرد حتى وان كنا لا نشاطره رأيه، ونشر ثقافة التسامح وتعزيزها يحتاجان الى الانفتاح الفكري والعقلي ويتطلبان بيئة مناسبة تتسم بفضاءات حرية وحق التعبير وحق الاختلاف دون خوف أوقلق ويحتاجان الى اعلاء كرامة الانسان وقيمته فوق كل اعتبار ولكي يتجسد التسامح في فكر وثقافة الأجيال لابد وان يسهم المجتمع بكل مكوناته ومؤسساته وفئاته وفي مقدمتها محاضن التربية ومؤسسات التعليم في نشر هذا الفكر وترسيخ ثقافته، وهنا يأتي دور الجامعات التي تعد من أهم المؤسسات التعليمية لدورها الثقافي المبني على العديد من المسئوليات والمتطلبات ولكي تتقن الجامعات هذا الدور الريادي يتطلب منها تعزيز وترسيخ مفهوم التسامح ولا توجد مؤسسة أكفأ أو أنسب منها لتصدر جهودا رامية للتجديد الثقافي في المجتمع وترشيد العلاقة بين العلم والثقافة فهي معقل ومدرسة لهما (منصور، ٢٠٠٥: ص٥-١٠)، وعليها تقع مسؤولية متابعة ودراسة وتقييم الاتجاهات الثقافية والقيمية في المجتمع ثم ترشيدها وتعديلها بحسب أحواله وأولوياته ومتطلباته وتحرير ثقافته من العوائق والثقافات الدخيلة كافة وللجامعات تنظيم الندوات واللقاءات ودعوة قيادات القوى والتنظيمات السياسية والأحزاب والعمل بواسطتها على نشر وتعزيز ثقافة التسامح في أوساطها وتبيان خطورة التعصب والانقسام وتبعاته على مستقبل القضايا الوطنية والأجيال، فالاحتكار في الفكر والادراك يخلق عقلا عبوديا ونفسية مهزوزة ويحدث خللا خطيرا في المجتمعات والعالم، ولابد للجامعات ان تكون مصدرا لتكوين الفكر وتحرير الثقافة والخروج من القفص الفكري وفتح المجال للتنوع والتجربة ويتطلع الى جامعات تتيح فسحة وتهيىء أجواء وبيئات غنية تمد الطلبة بالعلم والمعرفة والفهم والحكمة يمثلها أشخاص مؤمنين أصحاب مباديء لايفعلون مايتناقض مع مبادئهم ولديهم عاطفة قوية تجاه مايفعلونه وحب جم للناس وللحياة، فالجامعة كمؤسسة اجتماعية تربوية تكتسب أهمية خاصة عن مختلف المؤسسات الأخرى في عملية تشريب الطلبة روح التسامح بالكلمة والمثل الرفيعة، ولخصوصية فئة الطلبة التي تحتضنهم ودورهم الكبير والمباشر في حاضر المجتمع ومستقبله، فان غياب التسامح سوف ينشر التعصب والعنف والكراهية والبغضاء وسيادة عقلية التحريم والتجريم والتخوين والاقصاء سواء على الصعيد الفكري والثقافي أوالسياسي أوالاجتماعي أوالعلمي أوالديني أوما يتعلق بالحياة بشكل عام، بينما تفتح ثقافة التسامح أبواب المعرفة والتقدم على مصراعيها لتقيم مجتمعا حرا ومنفتحا يحترم الثقافات الفرعية بداخله كعناصر في نسيجه الثقافي وتنشىء أجيالا متمتعة بسعة الفكر والمرونة راقية في أخلاقها وسلوكها ومنطلقاتها تنأى بالمجتمع عن دوامات الجدل والصراع ومتاهات العنف والتعصب والجمود (فاشة، ٢٠٠٣: ص٢)، بل ان الجامعة رمز تقدم الامم ونهضتها وعنوان رقيها وحضارتها لانها من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تزرع وتنمي المباديء الانسانية انها المكان المحصن لاعداد وتخريج النخب فتعمل على صياغة واعادة صياغة صورة الطالب الجامعي المستقبلية بتشريبهم المباديء والثقافة والسلوكيات التي تتبناها كفلسفة عامة للمجتمع الذي تمثله وتميزها عن باقي الحواضن والمؤسسات باتساع البيئة المعرفية ومستوى الانضباط والتنظيم وغربلة الثقافة مما يشوبها

من انحراف وفساد ويتوقع المجتمع من الجامعة ان تكون مصنعا حقيقيا للرجال ومركزا للحوارات الاجتماعية والابحاث يحتضن المجتمع وأفراده وأنشطته المختلفة كونها المحرك الرئيس والمسؤول عن تطوره فكريا وحضاريا من خلال رصد وقياس اتجاهات ودرجات التغير في المجتمع بالعمل على تحسين أداء الثقافة المجتمعية على جميع الأصعدة لانها بيئة قادرة على صناعة مفاتيح التحضر والتقدم ومحاربة التخلف والتعصب والتطرف، وهي كمركز للحوارات الاجتماعية بعلمائها ومفكريها، يتوقع منها دورا كبيرا في حماية استقرار ووحدة المجتمع وتماسكه وبناء التكوين العلمي والثقافي والقيمي للطلبة وصقل شخصيتهم ضمن نسق قيمي يوجه سلوكهم بمسؤولية وطنية في بناء أجيال المستقبل (العاجز، ٢٠٠٦: ص٣٩٩)، والجامعة المكان الأول والأنسب لتكريس ثقافة التسامح العلمي والفكري والثقافي لانها مركز العلم ومدرسة الثقافة وحاضنة البحث العلمي وتلاقح الثقافة والفكر، وقيل: "مزيدا من العلم يعني مزيدا من التواضع والحكمة" كسجايا يتمثلها أساتذة الجامعات العلماء والحكماء في علاقاتهم وتفاعلاتهم العلمية والأكاديمية وممارستهم للتدريس وتعاملاتهم مع الطلبة، وأبسط صور التسامح العلمي للأستاذ الجامعي في الاصغاء بسعة صدر واهتمام لطلبته في التعبير عن وجهات نظرهم وأفكارهم واستفهاماتهم دون ضجر أوتأفف أواستهانة واستخفاف ومحاورتهم باحترام لعقولهم واتجاهاتهم وانسانيتهم مما يعزز روح التسامح لديهم بواسطة القدرة والنموذج الحي داخل الجامعة ومحيطها الاجتماعي، ولا بد أن تولي الجامعة اهتماما خاصا لتعليم التسامح وحقوق الانسان فتطوير التعليم بشكل عام والتعليم الجامعي بشكل خاص لا يمكن تحقيقه دون ابداع وابتكار ودون حرية فكرية وتدريس حقوق الانسان وممارستها في الواقع يشجع على مواقف التسامح والاحترام والانفتاح والتضامن المرتبطة بحقوق الانسان العامة وتربى على الايمان بها ثم تعليمهم احترام الآخرين والانفتاح العقلي والاقرار بحق الاختلاف والمشاركة الموضوعية والحرية العقلية وأدب الحوار والمرونة واللين وحسن الظن والتضامن والتعاون ونبذ التعصب والأمانة العلمية والنزاهة وتقبل النقد البناء والتوليف بين الاعتراض والقبول وتوقير العلماء قولا وعملا بتجاوز الجامعة للعوائق التي تعترض ممارسة التسامح فيها بتوعية الطلبة عنها بواسطة المناهج والمقررات الدراسية والمحاضرات والندوات والنشرات ومختلف الوسائل التثقيفية والتعليمية، واعادة بناء النظم الادارية واللوائح المنظمة للعلاقات الاكاديمية والاجتماعية والانسانية كافة بين جميع العاملين وعلى مختلف المستويات على اساس التسامح والمرونة واحترام كرامة البشر واعلاء وصون انسانيتهم (المزين، ٢٠٠٩: ص٢٢٣-٢٢٤).

الاستنتاجات

استنتجت الباحثة ان مفهومي التفكير المزدوج والتسامح يكمل أحدهما الآخر، بل ان احدهما ممكن ان يولد من المفهوم الآخر، اذ وجدت الكثير من المشتركات بينهما سيما ما يتعلق بالفكر العلمي الواسع المنفتح اذ بين التفكير الايجابي والتفكير السلبي حد فاصل واضح لكن من يستطيع تجاوزه مباشرة أثناء أعمال التفكير فيتحول من الايجابي الى السلبي ومن السلبي الى الايجابي هو صاحب

التفكير المزدوج الذي يتحمل الفكرة ونقيضها ويتحدى المنطق بالمنطق ويفكر خارج الصندوق بعبقرية وابداع فيتحدى بهذا التفكير كل عوائق ومزلات التفكير الأحادي العقيم الى تفكير ايجابي متفتح حر شامل سهل لين يتقبل الاختلاف والتعددية والرأي الآخر ويعزز روح التقبل والتسامح، وهذه المشتركات الايجابية جعلت من المشتركات في العوائق والمزلات التي تحول دون المفهومين ايضا متقاربة كما اتضح، لذلك يكمل احدهما الآخر، مع فارق واضح بينهما والذي اتضح من الادب النظري لمفهوم التسامح سيما ما يتعلق بالدين الاسلامي والاديان الاخرى التي عدت المصدر الاساس لفلسفة التسامح في الحياة البشرية عامة، والذي اتضح جليا في آيات القرآن الكريم التي انزلت للرسالة المحمدية السمحاء فجعلت التسامح مصدرا ومنبعا مهما للفكر المتفتح والتفكير الواسع المزدوج البعيد عن الانغلاق والجمود، فمن خلال التسامح دائما دائما ممكن ان ينتج مثل هكذا تفكير لكن العكس ليس صحيح دائما، اي ان صاحب التفكير المزدوج والذي يدرب ذاته على هكذا نوع من التفكير ليس دائما هو شخصا متشرب بمباديء وثقافة التسامح السمحاء الحقيقية فهو قد يكون مجبرا على استعمال تفكيره في مواقف الحياة حوله بل قد تحركه دوافع اخرى، وتعد مؤسسات المجتمع كافة سيما الاسرة والمدرسة والجامعة مسؤولة بشكل كبير في تنشئة وتشريب اجيالنا بمباديء وثقافة التسامح السمحاء كفضيلة وقيمة دينية وعقائدية واخلاقية كبرى، لكن يبقى للجامعات الدور الاكبر في ذلك كون الشباب الجامعي يعيش مرحلة مهمة من حياتهم من تفتح الذهنية والفكر الخلاق والتعددية والتنوع والاختلاف والاختلاط مع مختلف انواع الايديولوجيات التي ان لم تنظم في خط سير فكري وفلسفة واهداف واضحة المعالم سوف تؤدي الى التشتت والضياع والخسران الكبير للطالب بلا شك وللمجتمع والوطن والامة بكل اسف، وهنا لابد من دور حقيقي بروح عقائدية مجتمعية انسانية للتسامح تربية وتعليما وتدريبا وتشريبا، توظف وتعزز مباديء واخلاقيات وثقافات تسامحية تخلق تفكيرا متفتحا ومزدوجا وواسعا بعيد عن الانغلاق والجمود يحصن الشباب الجامعي من كل انواع الشوائب الفكرية التي تستهدفه، باعادة النظر في النظم الادارية والقوانين المنظمة لعمل الجامعة وانتهاج نمط قيادي ديمقراطي مرن متسامح يجافي المركزية والبيروقراطية والروتين ويرفض التسلط والتعالي والقهر ويعزز الرفق والسماحة والانفتاح، وتمثل القدوة الحسنة من قبل الادارة فكرا وسلوكا بامتثال منظومة مباديء التسامح تكون مرجعية لممارساتها وقراراتها واجراءاتها المختلفة، واعادة النظر في المقررات الدراسية ومضامين التسامح الفكري والثقافي فيها وتعميق الجوانب الانسانية في التدريس لتطوير العلاقة بين اعضاء هيئة التدريس والطلبة، لتوفير مناخ من الحرية والامن بعيدا عن التهديد والاستهانة والاستخفاف ينطلق من الاحترام والثقة بقدراتهم وامكاناتهم وتشجيعهم وتحفيزهم في مناخ من المحبة والتسامح والايجابية والانفتاح والعدالة والمساواة والديمقراطية والمرونة فيكون لها أثرا بالغا على تكوينهم الخلقي وتعديل سلوكهم واتجاهاتهم ازاء الجامعة والمجتمع ولفت أنظار الطلبة الى خطورة الاوضاع القائمة والقيم الدخيلة التي شاعت مؤخرا من الاتجاهات التعصبية، وتعويدهم على أسلوب الحوار وآدابه وتقدير قيمة الرأي المخالف والتلقائية وروح الجرأة الأدبية

والمبادرة في الرأي وتبريره والدفاع عنه وحسن الاستماع والنقد والتحليل واحترام كرامة الانسان وتحريم ايذائه ونبذ العنف والكراهية والتباغض والتاكيد على أهمية التعاون والمشاركة والايثار والتحلي بالتسامح بعاطفة قوية وحب كبير للطلبة والناس والحياة وتجسيده في الحياة الجامعية، ونشر ثقافة التسامح والاسهام في توضيح وترسيخ الجانب التطبيقي له بالمشاركة في الندوات والمحاضرات التي تنظمها الجامعة والمؤسسات العامة والخاصة، وتوظيف النشاط غير الصفي خارج قاعات الدراسة في تنمية قيم الحرية والتعاون والعمل الجماعي وتربية التسامح الفكري بالبحث والتفكير والحوار الحر المفتوح بين الطلبة ومعلميهم وبين ضيوف الجامعة من أهل الفكر والقادة السياسيين والاقتصاديين والاعلاميين في المجتمع، والبحث في مسائل السلم الاهلي والوئام الاجتماعي واقتراح السبل الكفيلة باعادة تماسك المجتمع ووحدته وذلك بتكوين فرق للبحث من مختلف الاساتذة بالتعاون مع الجامعات الاخرى وتوجيه النتائج لحل المشكلات والقضايا الشائكة والاسهام في الحلول العلمية لمعالجتها، لأننا بصدد مرحلة حرجة جدا من حياة الشباب والظروف المحيطة بهم وتسليط الضوء على دور الجامعات ضروري جدا كواحدة من أهم المؤسسات التربوية والتعليمية في تعزيز روح التسامح لدى طلبتها وتوجيههم قيميا واخلاقيا صحيحا، ونتيجته فكر مزدوج متفتح ايجابي خلاق يخدم التنمية البشرية ومنابع الابداع، بالابتعاد عن مسببات أحادية التفكير ودعم عقولنا بكل ماهو إيجابي يطور العقول وينميها لأن العقل هو الكنز الأثمن الذي يمتلكه الجميع فعلينا أن نستثمره بكل طاقاته وقدراته والعمل بالقاعدة التفكيرية التي تقول: كلامي صواب يحتمل الخطأ، وكلام غيري خطأ يحتمل الصواب، فكلامه صواب لأنه نتيجة بحث وتفكير طويل وعناء وجهد واحتمال فتح مجال المعاودة في الرأي والمحاورة فيه وإعادة النظر والنقد والتقويم والمراجعة جائز جدا، والتحرر من أقفال التفكير التي ينبغي أن يكون المسلم أبعد الناس عنها كما أوضحها القرآن بكل صراحة ذاماً ومحذراً منها في قوله تعالى: "أم على قلوب أقفالها".

<u>التوصيات والمقترحات</u>

١. الإصغاء للآخرين أياً كانوا خصوما أوأندادا، والكف عن ممارسة السلطة واستخدام القوة في التدخل بآراءهم وأعمالهم ونشاطهم وأساليب تحركهم وطرق تفكيرهم وإن كنا لا نوافق عليها عقيدياً أوفكرياً أوأخلاقياً ويمكن تنبيههم على المزالق التي يقعون بها، وتكريس التسامح في الحياة السياسية في ظل تعدد التركيبة في مجتمعاتنا بتقبل قيام أي أقلية أوطائفة أوتنظيم سياسي أوديني تشكيل حزب سياسي يمثله والترويج لأفكاره وإن كان مناهضاً لأطروحاتنا تأصيلا لمبادئ حقوق الإنسان، وإزاحة معالم الدولة العسكرية وعسكرة الشعوب والمركزية المطلقة في الحكم أو تسييس الجامعات والابتعاد بها عن السجالات والصراعات السياسية التي تعيق مسيرتها وتحرفها عن وجهتها ووظائفها الاساسية بانتهاج نمط اداري تسامحي دائما وفي كل المواقف واشاعته.

٢. افادة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والادارات الجامعية وعمادات شئون الطلبة والباحثين التربويين والاجتماعيين في دراسة الظواهر التربوية والمجتمعية في وضع الخطط والسياسات والبرامج المستقبلية بحسب ماجاء في البحث هذا.

٣. جعل التسامح مبدأ وقيمة عملية مفعلة في الواقع بين العراقيين جميعا وطلبة الجامعة تحديدا من خلال تضمين المناهج حقيقة وبعد التنوع العرقي والطائفي في كل العراق لاسيما بعدهم الجغرافي والتاريخي والاصول والعقيدة والطقوس والتعايش لجميع المراحل سيما الجامعية، لترسيخ وتعزيز ثقافة التسامح لديهم من خلال عضو هيئة التدريس الذي يقوم بدور قيادي وهو نموذج سلوكي يقتدي به غالبا طلبته والمنهاج الجامعي والمقررات الدراسية وتفعيل الانشطة الطلابية والمكتبة الجامعية وتحرير فولدرات وملصقات ولافتات تشيع المحبة والتسامح والوحدة والوئام توزع بشكل دوري ومستمر في مرافق الجامعة كافة وتزين مداخلها ومحيطها وطرقها وقاعاتها.

٤. إجراء المزيد من الدراسات والابحاث العلمية والتربوية والاجتماعية لزيادة واثراء الخبرة النظرية والعملية عن مفهومي التفكير المزدوج والتسامح كفلسفة عامة وخاصة في التربية والتعليم، وكيف يمكن أن تخدم انواع التفكير لدى الانسان باتجاه التنمية الفكرية الخلاقة المبدعة، وعقد الندوات السنوية والدورية لمعالجة ظاهرة التعصب والانغلاق العقلي، في مقابل اشاعة ثقافة التسامح.

٥. انشاء وحدات استشارية مشتركة من الجامعات ومنظمات المجتمع المدني وعلماء الدين لنشر وتعزيز ثقافة التفكير المنفتح الحر السمح ببرامج توعوية دورية لتفعيل الحوار الحضاري الهادف.

٦. الاعداد والتحضير لمؤتمر تسامحي وطني واسع، تعده وترعاه جامعات العراق كافة لاعادة الوحدة الوطنية ولم شمل فئات وقوى المجتمع المتنافرة، كمؤتمرات العنف والارهاب والعمليات الانتحارية.

٧. اصدار مجلة او دوريات تحت عنوان التسامح والعمل على نشرها عبر شبكة الانترنت على موقع الجامعة أوموقع الفضائية الجامعية تضم دراسات وبحوث واوراق عمل وملخصات نظرية وتطبيقية وتجريبية ورسوم كاريكاتيرية لتحرير الفكر من معيقاته والافادة القصوى منه في التنمية والبناء.

Research Summary

Sought Current search to know the concepts of modern literature theoretical educational, psychological and social are thinking double and tolerance and the definition of them in the theoretical frameworks of religious, social and psychological to clarify their role in life in general and in university life private and to understand their respective roles in the promotion of the other, and research has included a chapter first to identify the importance and the objectives and terms Search in detail, and a chapter of a second frameworks and theoretical literature of concepts ranging from religious heritage in Islam and other religions, especially the concept of tolerance, then look at social, psychological and cultural of the two was deeply theoretical, and the final chapter of a conclusion about the commonalities between the

two concepts negatively and positively, and how it can be mutually reinforcing the role of the other in the general people then university students, as the base concept of tolerance overshadowed heavily on achieving this role in the reinforcement of the depth of the concept religiously, socially and become arms tolerance feature and human value a great high-Semitism is possessed of the keys double think Baijah and beguile and high capacity to handle negotiation and arms with all conditions difficult, and it was to clarify the role of the university its facilities are all in the upbringing and education and inculcating a culture of tolerance among students and their contribution to deep in the nature of thinking normal free-positive creative as thinking double serve the community in the circumstances experienced by the day, and ended with the researcher's recommendations and proposals of several serving the area is clear and significant.

المصـــــادر

١. ابن مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب، (١٩٨٢)، تهذيب الاخلاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(١).
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٥٦)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مج(١٠).
٣. البوريني، عمر، (٢٠١١)، التسامح ونبذ العنف وعدم التعصب، الاردن: عمان، http://www.wasatyea.net/?q=content/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B3
٤. الجابري، نبيل نعمة، (٢٠١٣)، التسامح في الاسلام، مركز الامام الشيرازي للدراسات والبحوث، www.shrsc.com، http://www.annabaa.org/nbanews/68/380.htm .
٥. جلاله، ايمن، (٢٠٠٩)، الشباب الجامعي (التعريف – الخصائص)، المنتديات العلمية الاجتماعية التخصصية- منتدى الخدمة الاجتماعية، http://www.ejtemay.com/showthread.php?t=20501
٦. الحاج، عبد الرحمن، (٢٠٠٦)، العالم والداعية .. هل هما شخص واحد، صحيفة المؤتمر نت، اليمن : صنعاء.
٧. الحكاك، وجدان جعفر جواد، (٢٠٠٥)، فيض (قمة) الخبرة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة بغداد، الجادرية، العددان (٩ & ١٠).
٨. الحيمي، عفاف احمد، ٢٠١٣(٢٠١٣)، دور وسائط التربية في تعزيز التسامح لدى المجتمع، http://yemenifolklore.org/dtls.php?PageID=74
٩. الرازي، محمد بن ابي بكر، (٢٠٠٠)، مختار الصحاح، القاهرة، دار الحديث، ط(١).
١٠. رضوان، نادية، (١٩٩٧)، الشباب المصري وأزمة القيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
١١. زقزوق، محمود حمدي، (٢٠٠٣)، التسامح في الاسلام، مجلة التسامح للدراسات الفكرية والاسلامية، العدد الاول، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.
١٢. الشيخ، خليل، (٢٠٠٣)، حديث التسامح، مجلة التسامح للدراسات الفكرية والاسلامية، سلطنة عمان، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، العدد(١).
١٣. الطالقاني، علي، (٢٠١٣)، التسامح ونبذ العنف والتعصب، http://www.ye1.org/vb/showthread.php?t=745456
١٤. العاجز، فؤاد، (٢٠٠٦)، دور الجامعة الاسلامية في تنمية بعض القيم من وجهة نظر طلبتها، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية)، مج(١٥)، العدد الاول، ٣٧١، فلسطين : غزة.
١٥. العظماوي، ابراهيم كاظم،(١٩٨٨)، معالم سيكولوجية الطفولة والفتوة والشباب، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
١٦. العودة، الشيخ سلمان، (٢٠١٣)، اقفال التفكير . http://www.azoz-star.com/vb/t225317.html
١٧. فاشة، منير، (٢٠٠٣)، الجامعات العربية : تحول وتنوع في الادراك، ورقة عمل ، مؤتمر نماذج جامعات للعالم العربي، للمدة من ٢٣-٢٠٠٣/١٠/٢٤، مركز الدراسات العربية والشرق اوسطية، بيروت: الجامعة الاميركية.
١٨. الفرق بين الايجابي التفكير وبين سلبي التفكير، (٢٠١٣)، http://forums.roro44.com/103517.html
١٩. فولتير، (١٧٧٨)، Voltaire a publié son ouvrage Traité sur la tolérance مقالة في أصل التسامح.
٢٠. كارل بوبر(Buber Carle)،(١٩٩٢)، التسامح والمسؤولية الفكرية،ترجمة:ابراهيم العريس، بيروت: دار الصافي.
٢١. مجمع اللغة العربية، (١٩٦٥)، المعجم الوسيط، ط(٢).
٢٢. محفوظ، محمد (٢٠٠٤)، التسامح وجذور اللاتسامح، معنى التسامح وآفاق السلم الاهلي، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد (٢٨-٢٩)، بيروت وبغداد.
٢٣. مرسي، منير، (٢٠٠١)، الادارة التعليمية .. اصولها وتطبيقاتها، القاهرة، عالم الكتب.
٢٤. مزلات التفكير، (٢٠١٣).http://www.azoz-star.com/vb/t256746.html
٢٥. المزين، محمد حسن محمد، (٢٠٠٩)، دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم،

رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ قسم اصول التربية، جامعة الأزهر، فلسطين: غزة.

٢٦. مغربل، عماد، (٢٠١٠)، التفكير خارج الصندوق. http://deiwaly.3arabiyate.net/t427-topic

٢٧. المنجد في الاعلام واللغة، (١٩٧٣)، مجمع اللغة العربية، بيروت: دار المشرق، ط(٢١).

٢٨. منصور، عبد الملك، (٢٠٠٥)، الدور الثقافي للجامعات، جريدة الثورة : اليمن.

٢٩. منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو UNESCO"، (١٩٩٥)، وثيقة اعلان اليونسكو حول التسامح، المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، فرنسا: باريس. www.umn.edu/humanrts/arab/tolerance.html.

٣٠. الهاشمي، محمود منقذ، (٢٠٠٧)، التسامح والتعددية، موقع معابر، اصدارات خاصة، الاصدار الثاني، http://www.maaber.org

٣١. وطفة، علي اسعد، (٢٠١٣)، فن التربية على التسامح، شبكة النبأ المعلوماتية، http://www.annabaa.org/nbanews/2012/01/272.htm

٣٢. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، (٢٠١٤)، ar.wikipedia.org/wiki.

٣٣. اليازجي، ندرة، (٢٠٠١)، السمات العامة للانسان المثقف الحضاري، مكتبة معابر الالكترونية، اصدارات خاصة – قيم خالدة – الاصدار الثاني، http://www.maaber.org

٣٤. George، Orwell، (٢٠١٢)، ttps://ar.facebook.com/permalink.php?story_fbid=332479

٣٥. George، Orwell، (١٧٧٨)، http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=25135.

٣٦. http://tawaseen.blogspot.com/2006/08/blog-post.html

٣٧. http://www.tvet-portal.net/forum/showthread.php?2345-C7%E1%CA%DD

٣٨. http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1002/tea.20449/pdf

٣٩. http://ar.mideastyouth.com/?p=14073

٤٠. .http://tawaseen.blogspot.com/2006/08/blog-post.html

٤١. http://forums.roro44.com/165611.html

٤٢. http://forums.roro44.com/185637.html

٤٣. http://www.startimes.com/f.aspx?t=31611332

٤٤. http://www.azoz-star.com/vb/t256746.html